



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين



الندم في القرآن الكريم مظاهره وآثاره - دراسة موضوعية -

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: تفسير وعلوم القرآن

المشرف:

د. حمزة بوخرنة

من إعداد:

آمال بن عيسى

رقية فرجاني

السنة الجامعية: 1439 - 1440 هـ / 2018 - 2019 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

باسمك اللهم نستعين على أمور الدنيا والدين ، وبك آمننا ، وعلينا توكلنا ،
وإليك المصير ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، لك الحمد الكثير ، والسلام على
سيدنا محمد الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعلى آله وصحبه
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أما بعد :
هي كلمة أبت إلا الحضور ، هي كلمة شكر وتقدير لله عز وجل الذي
وقفنا لإتمام هذه المذكرة في أحسن الأحوال .
إلى من يسرنا وجودهما في حياتنا وانبثقت على أيديهما ثقتنا بأنفسنا ، "آباءنا
الأعزاء" .

هي كلمة شكر وعرفان إلى الذي أمدنا بتجربته وصادق عونته ، وسديد
توجيهه ، وعلى صبره الجميل معنا ، وسعة تفهمه ، وسمو تواضعه ، الأستاذ المشرف :
"حمزة بوخزنة" (أستاذنا جزاك الله عنا كل خير) .

والشكر موصول للجنة المناقشة على قبولها قراءة بحثنا ومناقشته وتصويبه .
إلى من جمعنا بهم رحلة الحياة ، أصدقاء وزملاء مشوارنا العلمي .
كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة المعهد والطلبة وبالأخص طلبة علوم القرآن
والتفسير .

* كل هؤلاء لكم من فائق الاحترام والتقدير *

مالمع البلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:
تتمحور هذه الدراسة حول: "الندم في القرآن الكريم، مظهره وآثاره -دراسة موضوعية-"،
حيث كانت الإشكالية الرئيسية في دراستنا هي: كيف صور القرآن الكريم مشاهد انفعال الندم
عند الأنبياء والمؤمنين أو عند الكفار والمنافقين في الدنيا والآخرة وما الآثار المترتبة عنه؟ وفي
هذه الدراسة قمنا بالإجابة عن هذا الإشكال في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.
فالمبحث التمهيدي يشتمل على تعريف الندم ونظائره وما يتعلق به.
أما المبحث الأول فقد تضمن أصناف النادمين في الدنيا من الأنبياء والمؤمنين وبيّن مظاهر
ندمهم والآثار المترتبة عنه في الماضي والحاضر والمستقبل.
وأما المبحث الثاني فقد اشتمل على أصناف النادمين في الآخرة من الكفار والمنافقين وبيّن
مظاهر ندمهم والآثار المترتبة عنه في الآخرة.
وتطرقتنا أيضا في الأخير إلى خاتمة: اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم
النتائج:

للندم آثار في حياة الإنسان، فأما أثره في الماضي فندم وحسرة وحزن بسبب فعل
المعصية، وأما أثره في الحاضر فإقلاع عن المعصية، وأما أثره في المستقبل فعزيمة صادقة على
عدم العودة إلى الذنب حتى الممات.
للندم أثر على الكفار والمنافقين يوم القيامة نتيجة تقصيره م وذلك بتجنيهم العودة
إلى الحياة الدنيا كي يهربوا من عذاب الآخرة ولكن لا مفر من مواجهة الحساب يوم لا
ينفع الندم.

Research Summary

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon

Prophets and Messengers, and the followers: The main problem in our study is: How does the Quran portray the scenes of remorse in the prophets and believers or in the infidels and hypocrites in this world and the Hereafter? and what are the consequences? In this study, we answered this problem in an introduction, three parts and a conclusion.

The introductory study includes the definition of remorse, its parallels and the related.

the first part included the categories of the downtrodden in the world of prophets and believers, and between the manifestations of their remorse and the consequences of the past, present and future

Then, the second part included the categories of the infidels in the Hereafter from infidels and hypocrites, and between the manifestations of their remorse and the consequences thereof in the Hereafter.

Finally, conclusion included the most important results and recommendations.

Thus, the most important results:

-Repentance has effects in the life of man, either in the past, regret and sorrow and grief because of the act of sin, but the impact in the present to abandon the sin, but the impact in the future, a sincere determination not to return to sin until death.

-Regret has the impact on the infidels and hypocrites on the Day of Resurrection as a result of their negligence by wishing to return to the life of this world to escape the torment of the Hereafter, but it is inevitable to face the account on the day does not benefit remorse.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، خلق الخلق لعبادته وأمرهم بإصلاح أنفسهم قبل بلوغ الحسد.

أرسل رسوله بالهدى فأماط عن وجه الحق الثقاب، وأيده ببيّنات من الكتاب تذكرة وعبرة لكل عبد أواب فالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه الأحاب، أما بعد:

فإن كتاب الله عز وجل فصلّ قوله، زاخر بعظيم المعاني، قائم براسخ المباني، وإننا قد أجلنا النظر في آياته، فطاب في أنفسنا معنى بليغ، رأينا عظيم الحاجة إلى سبره، وتحقيق خبره، فعزمنا بعون الله وفضله على البحث في موضوع بحثنا الذي جاء موسوما بـ: "الندم في القرآن الكريم، مظاهره وآثاره -دراسة موضوعية-"، وقد خصصنا بالبحث موضوع الندم لما تيقنا بأهميته البالغة ولعلنا بذلك نسير بمشكاة الحقيقة في طريق الباحثين، ولا يخفى على كل ذي عقل سليم بأهمية التفسير الموضوعي وأهميته يسعى إليها أصحاب الدراسات الشرعية، ولا يخفى على كل موهوب ما في هذا الموضوع من صدّ لجيوش الهوى واستغاثة خالق الحب والنوى والاعتصام بجبله طول المدى، وما من ريب أن الموضوع يتطلب حسن تأمل الآيات وتدبرها للوقوف على معانيها وتحديد عناصرها.

وقبل أن نغوص في الموضوع نعرف به إجمالاً، ونوضح كيفية إنجازها وكتابته.

أولاً: إشكالية الموضوع

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الإشكالية التالية:

- كيف صوّر القرآن الكريم الندم في الدنيا والآخرة؟
- ما هي أبرز مظاهر الندم التي تكلم عنها القرآن الكريم؟
- ما هي الآثار المترتبة عن الندم في الدنيا والآخرة؟

ثانياً: أهمية البحث

لهذا البحث أهمية كبيرة تكمن في:

- أنه نوع من التفسير لكلام الله، فهو يكتسب أهميته كما يكتسب التفسير أهميته.
- خدمة القرآن الكريم من خلال البحث في موضوع من موضوعاته الهامة.
- القيمة العظيمة لهذا الشعور في حياة الإنسان، إذ هو دافع لتهذيب النفس من خلال

الشعور بالذنب والخطأ.

- حاجة الواقع المعاصر إلى مثل هذه الموضوعات لأن الإنسان بطبيعته مذنب، فلا بد من توعيته وصقل شخصيته وفق منهج القرآن الكريم.

ثالث أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى:

- إبراز مظاهر الندم و الآثار المترتبة عنه في الدنيا والآخرة.
- عرض جملة من الأسباب التي تترتب عن الشعور بالندم.
- بيان قدرة الله عز وجل وفتح هلالإنسان أبواب الكمال والرقى، وحتى لو أخطأ فإن باب التوبة مفتوح له متى تحسر وندم.
- المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية، وخدمة طلبة العلم بإضافة بحث جديد في التفسير الموضوعي.

- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين من خلال هذا الموضوع.

رابع: أسباب اختيار الموضوع

ومما دفعنا لدراسة هذا الموضوع أمور كثيرة أبرزها ما يلي:

- الصلة الوثيقة لهذا الموضوع بكتاب الله عز وجل، حيث إنه يتناول ألفاظه، وشرف العلم بشرف المعلوم وكذلك طمعا فيما عند الله من الثواب في خدمة هذا الموضوع.
- كون هذا الانفعال من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة والبحث والاستقاء.
- تسليط الضوء على الشعور بالندم لدى الإنسان من خلال آيات القرآن الكريم.

خامسا: الدراسات السابقة للموضوع

- من الموضوعات التي تطرقت إلى الندم بشكل كلي هي: "الندم دراسة قرآنية موضوعية" لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من إعداد عائشة بنت محمد الحمدان ، لكننا لم نستطع الحصول عليها، لعدم وجودها لا ورقيا ولا إلكترونيا، وقد استفدنا منها في بناء الهيكل العام للموضوع.

- ومن الموضوعات التي تناولت موضوع الندم بشكل جزئي: الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم" لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من إعداد إبراهيم عبد الرحيم

محمد مصطفى، وقد تكلمت هذه الرسالة عن الانفعالات النفسية لدى الأنبياء منها: الغضب، اليأس، الخوف، ومن بينها كذلك الندم لكنها تطرقت إلى مشاهد انفعال الندم لدى الأنبياء فقط، ولم تذكر مشاهد انفعال الندم لدى الكفار والمنافقين وغيرها من الجوانب التي خصصناها نحن في دراستنا.

سادسا: منهج البحث

ولقد اتبعنا في هذا البحث طريقة التفسير الموضوعي.

سابعا: منهجية الكتابة في البحث

التزمنا في كتابة بحثنا منهجية محددة، نذكرها في أهم عناصرها:

- عزو الآيات بحيث يكون في المتن بالطريقة الآتية: [اسم السورة: رقم الآية]، وجعلنا

الآية بين الرمزين الآتين: ﴿﴾، مع كتابتها بالرسم العثماني كتابة مفخمة لتمييز كلامه عز وجل عن كلام غيره من البشر.

- تخريج الأحاديث الواردة في البحث؛ إذا كان الحديث من الصحيحين لا نذكر درجته، أما إذا كان من غيرهما فنذكر درجته وصحته أو ضعفه، على أن يكون تخريجها في الهامش على النحو التالي: أخرجه: صاحب المصنف الحديثي: اسم المصنف، التحقيق إن وجد، دار النشر، مكان النشر، رقم الطبعة، تاريخ النشر، الكتاب والباب إن وجد، رقم الحديث، الجزء إن وجد، الصفحة.

- توثيق المعلومات الواردة في المتن بالهامش يكون كالاتي: المؤلف، المؤلف، التحقيق إن

وجد، دار النشر، مكان النشر، رقم الطبعة، تاريخ النشر، الجزء إن وجد، الصفحة.

- عند استخدام الكتاب في موضعين متتاليين لا يفصل بينهما استخدام كتاب آخر،

فإننا نورد العبارة الآتية: المرجع نفسه أو المصدر نفسه، ثم نتبعها برقم الجزء والصفحة، هذا في

نفس الصفحة، أما إذا ذكر في صفحة أخرى فإننا نذكر: المؤلف، المؤلف، الجزء إن وجد،

الصفحة، وأما إذا أعدنا كتابة كتاب ذكر في آخر الصفحة التي قبلها فإننا نورد العبارة التالية:

المرجع السابق أو المصدر السابق، الجزء، الصفحة.

- إذا كان المرجع رسالة علمية أكاديمية، فإن توثيقها كالاتي: الباحث، عنوان الرسالة، نوع

الدرجة العلمية، الكلية، المدينة إن وجدت، الدولة، التاريخ، رقم الصفحة.

– إذا نقلنا الكلام عن قائله بالمعنى، أو تصرفنا فيه فإننا نصدر العزو في الهامش بكلمة: "يُنظر"، أما إذا كان النقل حرفياً فإننا نجعله بين مزدوجتين كالآتي: " "، والعزو حينئذ يكون خالياً من كلمة "يُنظر".

– التزمنا رموزاً معينة لإفادة المعاني الآتية: التحقيق: تح، الطبع: ط، الجزء: ج، الصفحة: ص، وعندما لا تذكر طبعة أو تاريخ فإننا لا نذكر شيئاً، التاريخ الهجري: هـ، التاريخ الميلادي: م، ر ح: رقم الحديث.

ثامناً: خطة البحث

جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة كما يلي:

المقدمة: وذكرنا فيها أهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع، وإشكاليته، والدراسات السابقة له، ومنهج البحث، وصعوباته، وخطة البحث، كما اشتمل على ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث التمهيدي: الدراسة المفاهيمية للموضوع، وفيه أربعة مطالب، الأول: تعريف الندم ونظائره، والثاني: أسباب الندم، والثالث: أهمية الندم وعلاقته بالتوبة، وأما الرابع: أنواع الندم. المبحث الأول: الندم في الدنيا، وفيه ثلاثة مطالب، الأول: ندم الأنبياء والمؤمنين، أما الثاني: مظاهر الندم في الدنيا، وأما الثالث: آثار الندم في الدنيا. المبحث الثاني: الندم في الآخرة، وفيه ثلاثة مطالب، الأول: ندم الكفار والمنافقين، أما الثاني: مظاهر الندم في الآخرة، وأما الثالث: آثار الندم في الآخرة. خاتمة: اشتملت على أهم النتائج التوصيات.

المبحث التمهيدي: الدراسة المفاهيمية للموضوع

المطلب الأول: تعريف الندم ونظائره

المطلب الثاني: أسباب الندم

المطلب الثالث: أهمية الندم وعلاقته بالتوبة

المطلب الرابع: أنواع الندم

المبحث التمهيدي: الدراسة المفاهيمية للموضوع

المطلب الأول: تعريف الندم ونظائره

الفرع الأول: تعريف الندم لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الندم لغة

بعد الاطلاع على المعاجم اللغوية، رأينا أن ما يذكره اللغويون من مادة (ن د م) يرجع إلى المعاني التالية: الحسرة، التوبة، الأسف، الحزن...

وقد فصّل صاحب كتاب العين في هذه المادة بقوله: "ندم: النَّدَمُ والنَّدَامَةُ واحد، والتَّنَدُّمُ: التَّحَسُّرُ، وهو أن يَتَّبِعَ الإنسانُ أمراً نَدَمًا"¹.

أما صاحب مقاييس اللغة فقد أعاد هذه المادة إلى معنى واحد في اللغة، فقال: "النُّونُ وَالذَّالُ وَالْمِيمُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَفَكُّنٍ لِحَيْثُ قَدْ كَانَ ، يُقَالُ: نَدِمَ عَلَيْهِ نَدَمًا وَنَدَامَةً ، وَشَرِبْتُ الرَّجُلَ: مُنَادِمُهُ وَنَدِيمُهُ"².

وجاء في اللسان: "ندم: نَدِمَ عَلَى الشَّيْءِ وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ نَدَمًا وَنَدَامَةً وَتَنَدَّمَ: أَسِيفَ. وَرَجُلٌ نَادِمٌ سَادِمٌ وَنَدَمَانٌ سَدَمَانٌ أَي نَادِمٌ مُهْتَمٌّ، وَفِي الْحَدِيثِ: النَّدَمُ تَوْبَةٌ"³.

وذكر الفيومي صاحب المصباح المنير: "(ن د م): نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ نَدَمًا وَنَدَامَةً فَهُوَ نَادِمٌ وَالْمَرْأَةُ نَادِمَةٌ إِذَا حَزِنَتْ أَوْ فَعَلَ شَيْئًا ثُمَّ كَرِهَهُ"⁴.

فمن خلال ما تقدم يتضح أن الندم في اللغة هو: التحسر، والأسف، والحزن على فعل، والتوبة منه.

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 8، ص 52.

² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م)، ج 5، ص 411.

³ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج 12، ص 572.

⁴ أحمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج 2، ص 598.

ثانياً: تعريف الندم اصطلاحاً

تعريف الندم في الاصطلاح قريب من معناه اللغوي، وقد وردت مشتقاته في القرآن الكريم في ستة مواضع¹، وكلها لها نفس المعنى اللغوي.

وعرّفه الإمام الراغب الأصفهاني عند قوله: "الندم والندامة: التحسر من تغير رأي في أمر فائت، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31]، وقال: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: 40]، وأصله من منادمة الحزن له².

وأضاف الزمخشري في تعريفه أن: "الندم هو من العَمِّ اللازم إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه في العاقبة من سوء آثاره"³.

والندم "التحزُّن والتوجُّع على أن فعل وتمي كونه لم يفعل"⁴، فهو "حدث يحصل في القلب، وأثره يظهر في اليد؛ لأن النادم يعرض يده ويضرب إحدى يديه على الأخرى، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُغْلِبُ كَفْتِهِ﴾ [الكهف: 42]، فتقليب الكف عبارة عن الندم؛ لأن من ندم على شيء قلب كفيه وصفق اليمنى على اليسرى تحسراً على ما فعل"⁵.

بينما أشار ابن عاشور إلى تعريف الندم بقوله: "الندم أسف الفاعل على فعل صدر منه؛

لم يتفطن لما فيه عليه من مضرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]⁶.

بعد كل ما تقدم يتبين لنا أن الندم هو شعور يعتري الإنسان على أمر فعله ثم تمي كونه لو لم يفعل، فتغمره مشاعر الندامة والحزن والأسف والحسرة.

¹ وهذه المواضع هي: [المائدة: 31]، و[المائدة: 52]، و[الشعراء: 157]، و[الحجرات: 6]، و[يونس: 54]، و[سبأ: 33].

² الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ج2، ص414.

³ الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، تح: علي محمد الجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ج3، ص418.

⁴ محمد البركتي: التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1، (1424هـ-2003م)، ص226.

⁵ أبو الحسن الواحدي: التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ، ج9، ص364.

⁶ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984هـ، ج6، ص174.

الفرع الثاني: تعريف نظائر الندم وما يتعلق بها (التوبة، الحسرة، الأسف)

أولاً: تعريف التوبة لغة واصطلاحاً

لغة:

تكاد المعاجم اللغوية تُجمع على أن مادة (ت و ب) ترجع إلى المعاني التالية: الاستحياء، والرجوع، وترك الذنب.

قال الفراهيدي في تفصيله لمادة (تَوَبَ): تَبْتُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَاباً، وَأَنَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ لِيُتُوبَ عَلَيَّ قَابِلُ التَّوْبِ، أَي قَابِلُ التَّوْبَةِ، تَطْرَحُ الهَاءُ ، وَالتَّوْبَةُ: الاستحياء، يقال: ما طعائمك بطعام تَوْبَةٍ، أَي لَا يُسْتَحْيَى مِنْهُ وَلَا يُحْتَشَمُ¹.

أما ابن فارس فقد أعاد هذه المادة إلى معنى واحد، فقال: التَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الرُّجُوعِ، يُقَالُ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَي رَجَعَ عَنْهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَاباً، فَهُوَ تَائِبٌ ، وَالتَّوْبُ التَّوْبَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: 3]².

وفي لفظ آخر لصاحب القاموس المحيط قال: "تاب إلى الله تَوْباً وَتَوْبَةً وَمَتَاباً وَتَابَةً وَتَتُوبَةً، رَجَعَ عَنِ المَعْصِيَةِ، وَهُوَ تَائِبٌ وَتَوَّابٌ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ: وَقَفَّهَ لِلتَّوْبَةِ، أَوْ رَجَعَ بِهِ مِنَ التَّشْدِيدِ إِلَى التَّخْفِيفِ، أَوْ رَجَعَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَهُوَ تَوَّابٌ عَلَى عِبَادِهِ"³، وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ: أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مَا تَابَ عَنْهُ⁴.

يتبين من هذه الدلالات اللغوية أن معنى التوبة في اللغة يدور حول الرجوع من المعصية والاستحياء والعزم على عدم العودة إلى ما تاب عليه.

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج8، ص138.

² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، ص357.

³ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 1426هـ-2005م)، ج1، ص62.

⁴ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج3، ص119.

اصطلاحاً:

عُرِّفت التوبة في الاصطلاح بعدة تعريفات، نذكر أهمها:

جاء في تفسير الطبري: "معنى التوبة من العبد إلى ربه: إنايته إلى طاعته وأوبته إلى ما يرضيه، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكره ربه"¹.
 بينما ذكر القرطبي في تعريفه للتوبة شروطها، وأضاف أمراً مهماً وهو الحياء من الله بقوله: هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياءً من الله².
 وقد جعل الشريف الجرجاني قيوداً في تعريفه لها بقوله: "هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب"³.
 من خلال ما سبق نستنتج أن التوبة هي معرفة العبد لسوء ذنبه فيتركه حياءً من الله عازماً على عدم العودة إليه.

ثانياً: تعريف الحسرة لغة واصطلاحاً

لغة:

أورد الجوهري ما يُبيِّن أن الحسرة أشد حالات الندم على الشيء الفاتت فقال: "حَسَرْتُ كَمِي عن ذراعي أَحْسِرُهُ حَسْرًا أي كشفت، والحاسِرُ الذي لا مِغْفَرَ له ولا دِرْعَ ، والأَنْحِسَارُ يعني الانكشاف، والحَسْرَةُ: أشدُّ التلهف على الشيء الفاتت، تقول منه: حسر على الشيء بالكسر يَحْسِرُ حَسْرًا وحَسْرَةً، فهو حَسِيرٌ، والتَحَسَّرُ: التلهُّف"⁴.

وقد ذكر هذا المعنى صاحب تاج العروس عند قوله: "الحسرة أشد الندم حتى يبقى النادم

¹ أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط 1 (1422هـ-2001م)، ج1، ص587.

² شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423هـ-2003م)، ج5، ص91.

³ الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، (1403هـ-1983م)، ص70.

⁴ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، (1407هـ-1987م)، ج2، ص630.

كالحسير من الدواب الذي لا منفع فيه، أي كَلَّ وتعب كاستحسر استفعاً ل من الحسر وهو الإعياء والتعب"¹.

يتضح من هذه الدلالات اللغوية أن معنى الحسرة لغة هو شدة الندم، والتلهف على الشيء الفات.

اصطلاحاً:

أما الحسرة في الاصطلاح فقد عرفها الجرجاني بقوله: " هي بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيراً لا موضع فيه لزيادة التلهف، كالبصر الحسير لا قوة فيه للنظر"².
بينما عرّف الراغب الأصفهاني الحسرة في الاصطلاح بقوله: " الحُسْرَةُ: الغمّ على ما فاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، أو انحسرت قواه من فرط غمّ، أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه، قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 156]"³.

بعد هذا العرض الوجيز يمكن أن نُعرّف الحسرة على أنها أشد حالات الندم، على ما ارتكبه الإنسان من تفريط، عند اكتشافه عدم قدرته على تدارك ذلك.

ثالثاً: تعريف الأسف لغة واصطلاحاً

لغة:

فَصَّلَ صاحب كتاب العين في هذه المادة بقوله: "الأسف الحزن في حال، والغضب في حال: فإذا جاءك أمر ممن هو دونك فأنت أسِفٌ، أي غضبان، وإذا جاءك ممن فوقك، أو من مثلك فأنت أسِفٌ، أي حزين، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: 55]، أي أغضبونا، وقولهم: أسفني الملك، أي: أحزني، والأسياف العبد لأنه مقهور محزون"⁴.
بينما قَصَرَ ابن منظور هذه المادة في معنى دقيق عند قوله: "الأسف المبالغة في الحزن

¹ مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج 11، ص 13.

² الجرجاني: كتاب التعريفات، ص 87.

³ الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 235.

⁴ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج 7، ص 311.

والغضب¹.

وقد وصفت أم المؤمنين عائشة أبا بكر رضي الله عنهما عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤم أبو بكر الناس في الصلاة بأنه: «رجل أسيفٌ إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس»²، "وأسيف تعني هنا: سريع الحزن والبكاء"³.
من هذه الدلالات اللغوية يتبين أن معنى الأسف لغة: هو المبالغة في الحزن، وقد يأتي أيضاً بمعنى الغضب.

اصطلاحاً:

وصف الراغب الأصفهاني الأسف في تعريفه عند قوله: " هو الحزن والغضب معاً، وقد يقال لكل واحدٍ منهما على الانفراد، وحقيقته: ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً، ولذلك سئل ابن عباس عن الحزن والغضب فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً وغضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً"⁴.

لكن أبو حيان بيّن ماذا يُنتج هذا الانفعال عند تفسيره لكلمة (أسفا) في قوله تعالى: ﴿ **إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: 6]، "أسفا أي ندما وتحسراً، والأسف المبالغة في الحزن والغضب، و الأسف هنا الحزن لأنه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسف، ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه كان غضباً كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾ [الزخرف: 55]، أي أغضبونا"⁵.

ثم أضاف ابن عاشور وصفاً آخراً وهو: "الأسف: انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يجزئها

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص5.

² أخرجه: البخاري: الجامع الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ، كتاب الآداب، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم: 664، ج1، ص113.

³ أبو غبيد القاسم الهروي: غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعرفة العثمانية، الهند، ط 1، (1384هـ-1964م)، ج1، ص159.

⁴ الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص76.

⁵ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج7، ص139.

وما تكرهه مع انكسار الخاطر"¹.

بعد هذا العرض يتضح أن الأسف في الاصطلاح هو شعور يُؤلّد في الإنسان مجموعة من الانفعالات منها الندم والتحسر والحزن، تدل كلها على انكسار الخاطر، كما يأتي بمعنى الغضب.

فلاحظ في الأخير من خلال هذه المفاهيم أن هناك مراتب للندم، في الدرجة الأولى يأتي الندم، ثم أشد منه الحسرة، ثم أشد من الحسرة، ثم التوبة وهي عبارة على محصلة الندم.

رابعا: تعريف السقوط في اليد في الاصطلاح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149].

قال أبو السعود: "سقط في يده إذا عدم الحيلة في دفع ما هو بصدده من أمر.. ولما رأى بنو إسرائيل أنهم صاروا إلى موقف لا يملكون دفعه فقد وقع منهم وانتهى²، وقيل أيضا أي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر يعرض يده غمما فتصير يده مسقوطة فيها"³.

خامسا: تقليب الكفين في الاصطلاح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 42].

تقليب الكفين: " كناية عن الندم والتحسر ، لأنّ النادم يقلب كفيه ظهرًا لبطن ، كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ، ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلى ، كأنه قيل : فأصبح يندم ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ أي أنفق في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يعني أنّ كرومها المرشحة سقطت عروشها على الأرض ، وسقطت فوقها الكروم . قيل : أرسل الله عليها ناراً فأكلتها ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه ، فتمنى لو لم

¹ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج9، ص81.

² سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص1374.

³ أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص43.

يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه ، ويجوز أن يكون توبة من الشرك، وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان"¹.

المطلب الثاني: أسباب الندم

يترتب عن الشعور بالندم الكثير من الأسباب، قد تكون هذه الأسباب إيجابية وقد تكون سلبية، ومما يأتي سيتم عرض جملة هاته الأسباب:

أولاً: الكفر والنفاق

الكفر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾

[الفرقان: 27]، إن الله لم يجعل شيئاً يُحِبُّ جميع الحسنات إلا الكفر، كما أنه لم يجعل شيئاً يُحِبُّ جميع السيئات إلا التوبة²، فالندم على الطاعة إن كان لأنه اعتقد أن الله تعالى ليس أهلاً أن يطاع، فهو كفر، والكفر يُحِبُّ العمل³، وهو تغطية الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بالباطل الذي جاء به إبليس لعنه الله وأقبح هذا الباطل الشرك به تعالى، فالكافر هو الذي يغطي بباطنه، من شرك وغيره من الطاعات، جحداً وعناداً⁴.

قال ابن قيم الجوزية: " فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر وكفر أصغر فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود"⁵.

النفاق: يتجسد أكبر مثال لتوضيح النفاق هو كمن ترك الذنب ولكن لم يندم بقلبه،

فإذا قال: تبت فهو كاذب، لأن حقيقة التوبة الندم القلبي على الذنب، ومثل هذا؛ من يندم فعلاً على ذنبه، ولكن لا يكون ندمه لله، بل للأضرار والابتلاءات الدنيوية التي سببها له

¹ أبو القاسم الزمخشري: الكشاف، ج4، ص17.

² ابن تيمية: الإيمان الأوسط، تح: علي بن نجيت الزهراني ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، ص345.

³ عمر السكوني: التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز، تح: يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2، ص82-83.

⁴ عبد الله أحمد قادري: الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط 2، (1405هـ-1985م)، ص21.

⁵ ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، (1416هـ-1996م)، ج1، ص335.

الذنب، كأن يكون ارتكب ذنباً مضرّاً ببدنه أو تسبب بفضيحة له أو جرّ عليه سجنّاً أو عقوبات أخرى من الحكومة، هذا الشخص إن قال أستغفر الله لهذا السبب فهو كاذب في ندمه¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: 13].

والنفاق إظهار الخير وإسرار الشر²، وينقسم إلى قسمين:

1- النفاق الإعتقادي(النفاق الأكبر):

وهو أن يظهر الإيمان والإسلام وهو كافر في الباطن، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار³.

2- النفاق العملي: وهو أن يعمل عمل أهل النفاق كالكذب وخلف الوعد والخيانة،

والفجور في الخصومة فإذا كان صاحبه لا يبطن الكفر فهذا غير مخرج من الإسلام⁴.

ثانياً: الخوف من العقوبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [السجدة: 16]، فعندما يتسلط الخوف من العقوبة، ويستولي غم الأعمال عليه يحصل الندم⁵، وقيل هو الدرجة الأولى للخوف، فهو الخوف الذي يصح به الإيمان، وهو خوف العامة؛ وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة، فمن صح إيمانه بوعيد الله تعالى للعاصين وعرف من نفسه ارتكابها للمعصية والتوعد عليها، حاج الخوف من قلبه لا يملكه، وقوله وهو الذي لا يصح به الإيمان يعني أن وجوده من العبد

¹ بلال أحمد الرفاعي: فرحة النفوس بشرح تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء السكندري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2015م، ص11.

² ابن كثير: مختصر تفسير القرآن العظيم، تح: أحمد محمد شاكر، الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 2010م، ج1، ص79.

³ محمد صالح المنجد: النفاق، مجموعة زاد، المملكة العربية السعودية، ط1، (1430هـ-2009م)، ص8.

⁴ أبو بكر الفرياني: صفة النفاق وذم المنافقين، تح: عبد الرقيب بن علي، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، ط1، (1410هـ-1990م)، ص11.

⁵ محمد الكسنزان: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار آية، بيروت، ط1، (1426هـ-2005م)، ج20، ص70.

دليل على صحة إيمانه بوعيد الله عز وجل¹.

ثالثا: المعصية أو ارتكاب الذنب

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 11].

فالمعصية تُضعف القلب عن إرادته، فتُقوّي إرادة المعصية، وتُضعف إرادة التوبة شيئا فشيئا، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله، فيأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير، وقلبه معقود بالمعصية، مصّر عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك².

قال ابن القيم الجوزية: "أصول المعاصي كلها - كبارها وصغارها - ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية"³.

رابعا: التقصير والتفريط

التفريط في الدين: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ

لِمَنْ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: 56]، نجد هنا أن البيان القرآني في أعلى مراتب حسن البيان يصور لنا التحذير من التفريط يعرض مشهد من مشاهد القيامة يمتلأ حزنا وندما وصراخا واعترافا بالتقصير الذي كان ملازما للسخرية، والتحذير يعرض هنا بهذا النظم المعجز والتصوير الدقيق للشدة والهول المصاحب للنفس المقصرة، ليكون جزءا من أسلوب الترهيب من ذلك اليوم، وإن النفس لتجد أمامها الفرصة ما زالت سائحة وباب التوبة ما زال مفتوحا فتسارع لتلبية الدعوة بالطاعة والإنابة والتسليم قبل فوات الأوان⁴.

خامسا: طلب النعمة أو زوال بعض النعم في الحياة وعدم الاجتهاد في الحفاظ

عليها

إن طلب النعمة يستولي على القلوب، وبصير معلوما أنه لا يتحقق بالفعل السوء

¹ زين الدين المناوي: شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله المهروي، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ص57.

² ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط1، (1418هـ-1997م)، ص56.

³ ابن قيم الجوزية: الفوائد، عالم الفوائد، ص116.

⁴ عبد القادر الحمداي: البلاغة القرآنية في نكت الرماني، ط1، (1435هـ-2014م)، ص39-40.

والمعصية فيندم العبد حينئذ مؤملاً ألا يحصل ذلك ¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ اللَّهُ لَا يَجِبُ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76].

سادساً: الحياء من مشاهدة الله إياه (العبد)

يعد من الدرجة الأولى للحياء بقولهم: "هو حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، ويستكفه (يسكته عن الشكوى)، يعني إذا علم العبد أن الحق ينظر إليه استحيا منه أن يخالفه في أحكامه فيجذبه ذلك إلى المجاهدة في نظره كما يعمل العبد بحضور السيد ²، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

المطلب الثالث: أهمية الندم وعلاقته بالتوبة

الفرع الأول: أهمية الندم

الشعور بالندم يترتب عنه العديد من النتائج الإيجابية فللندم أهمية بالغة في حياة الإنسان، ومما يأتي سنعرض بعض هاته الفوائد:

سما من شك في أن الندم الذي ينشأ عن شعور الفرد بالذنب، وأسفه ولوم نفسه على ذنب أو خطأ أو تقصير فعله، من العوامل المهمة في تقويم شخصيته، وصقلها، وتهذيبها، ودفعها إلى تجنب الأفعال أو الأمور التي يمكن أن تسبب له ألم النفس مستقبلاً، فالأنبياء عليهم السلام خطوا منهجاً لأتباعهم في صقل شخصياتهم، وتهذيب نفوسهم من خلال ندمهم، وشعورهم بالخطأ، على أفعال ظاهرها المخالفة لأوامر الله تعالى ³.

-شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة؛ بمعنى أن

¹ محمد الكسزان: موسوعة الكسزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، ج20، ص70.

² زين الدين المناوي: شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي، ص153.

³ إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى: الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، أطروحة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2009م، ص129.

يتحسر على ما سبق منه، وينكسر من أجله، ولا يرى أنه في حلٍّ منه حتى يتوب منه إلى الله¹، فهو يقبل التائبين ويغفر الذنوب جميعاً حين يسارعون بالندم قبل فوات الأوان فإنه لا ينفع الندم عند معاينة العذاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحریم: 8].

جما أن الندم ركن من أركان التوبة فأهميته من أهميتها حيث أنه بالتوبة يصل العبد إلى كل مقصود، لن ينال ما عند الله إلا بطاعته، ولولا التوبة لم يصل العبد إلى مولاه عز وجل، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام، فإن كل مقام وحال لا يستغنى عن التوبة²، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].
-إن الندم يُورث عزماً وقصدًا، وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلاً بينه وبين محبوبه، فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى، فعلاصة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع³.

الفرع الثاني: علاقة الندم بالتوبة

أهم عنصر في التوبة هو الندم، وفي ذلك ورد حديث الندم توبة، والندم هو شعور نفسي مصدره العلم بأن الله شديد العقاب، وكذلك هو تعالى قابل التوب، وهذا الشعور مؤلم ملذع للنفس إن كان بها إيمان مهما دق الذنب، فكلما تذكر معصيته تذكر اطلاع الله عليه فهاج في قلبه ألم يعتصره ويشعر منه بضيق نفسي حتى وكأن الأرض ضاقت عليه بما رحبت، فيندفع بالعمل للتخلص من هذا الشعور، فلا يجد إلا الله، لأن الفرار من الله تعالى لا يكون إلا إليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: 118]، فيرمي نفسه على أعتاب الله عز وجل، ويعترف له بذنبه ويعاهده على عدم العود تصميمًا أكيدا ملؤه الرجاء من أن الله يعينه على ذلك، فأصل التوبة شعور قلبي بقرب الله وقرب العقوبة من الوقوع، وهذا الشعور هو الذي يدفع للترك، فالندم عنصر أساسي

¹ ينظر: ابن عثيمين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار الوطن، الرياض، 1426هـ، ج1، ص86.

² صفى الدين بن نور التلمساني: طراز الكم المذهب في الأذكار الواردة من الكتاب والسنة، تح: أبي عمر الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص252.

³ علي سعيد حجازي: تهذيب النفوس للقرب من الملك الفردوس، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ص274.

في التوبة وإليه يكون نظر الله تعالى" ¹.

وقال الإمام النووي: "التوبة استجمعت ثلاثة أمور: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم أن لا يعود إليها أبداً وإن كانت المعصية تتعلق بأدمي لزم أن يبرأ من حق صاحبها، وركنها الأعظم الندم" ².

وهناك من عدّها من أهم شروط التوبة فقال: "فلن تكون التوبة صحيحة حتى يكون نادماً آسفاً حزيناً على ما بدر منه من المعاصي، ندماً يوجب الانكسار بين يدي الله عز وجل والإنابة إليه، ومن هنا فلا يعد تائباً ونادماً ذلك الذي يتحدث بمعاصيه السابقة التي قارفها يتفاخر بذلك ويتباهى به" ³.

وقال ابن القيم: "فأما الندم: فإنه لا تتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح، فذلك، دليل على رضاه به، وإصراره عليه" ⁴.

المطلب الرابع: أنواع الندم

يمكن تقسيم انفعال الندم إلى قسمين: ندم في الدنيا وندم في الآخرة، وسندرس كل قسم على حدة:

القسم الأول: الندم في الدنيا

الندم في الدنيا هو الندم المحمود، "فيكون سبباً، لرضاء الله باعتقاد التوبة والعمل الصالح، وربما يرقى في درجات السالكين، وربما يرقى إلى مرتبة الصالحين، وأقل فوائده إذا كان مقتصرًا على أداء الفرائض وترك المحرمات، إنه يموت تائبًا وتبدل سيئاته حسنات، لقوله تعالى: قَالَ

تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ [الفرقان: 70]، وأعلها إذا من الله عليه وتفضل عليه بمقام القطب الأكبر،

¹ ينظر: بلال أحمد الرفاعي: فرحة النفوس بشرح تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء السكندري، ص 9.

² ينظر: أبو زكريا محي الدين النووي: رياض الصالحين، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 3، (1419هـ-1998م)، ص 34.

³ صالح بن غانم السدلان: التوبة إلى الله معناها، حقيقتها، فضلها، شروطها، دار بلنسية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط 4، 1416هـ، ص 22.

⁴ ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ص 200.

وما ذلك على الله بعزير، فهذه نتيجة الخوف المحمود¹.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: "أن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبته من تأخير التوبة، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم²".

القسم الثاني: الندم في الآخرة

وأما الندم المذموم فهو "ندم الكافر الذي مات على كفره، والعياذ بالله من ذلك، وهو الذي اجتمعت عليه حسرتان، ندامة على فوات المحبوب والنعيم المقيم أبداً، وحسرة الوقوع في المكروه، وهو المأوى في قعر الجحيم، فأى ندامة وحسرة أعظم من هذه، ويليهما ندم المؤمن العاصي الذي مات وهو على الكبائر، فهذه ندامة أخف من الأول، ويليهما ندم المؤمن التائب يوم القيامة على ما فاتته من أيام البطالة والعمل الصالح، فيكون عليه حسرة وندامة يوم القيامة وإن كان آمناً من النار وعذابها، فإن كان ولا بد من الندم فاندم يا ابن آدم في الدنيا لينفعك الندم يوم القيامة، والله الموفق سبحانه³".

ويعرض النظم القرآني الكريم مشهداً للندم من ساحة الآخرة، يعرضه عرضاً طويلاً مديداً، يُحْيِلُ للسامع أنه لن ينتهي ولن يبرح ، مشهد الظالم يعرض على يديه من الندم والأسف والأسى، يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: 27]، فلا تكفيه يد واحدة يعرض عليها ، إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانیه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين ، وهي حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسماً، وهكذا راح القرآن يهز قلوبهم هزاً بهذه المشاهد المنزلّة، التي تجسم لهم مصيرهم المخيف، وترهبهم إياه واقعاً مشهوداً⁴.

¹ عبد الكريم عليوات: سراج الغيوب في أعمال القلوب، تح: عبد الله شريف الوزاني، دار كتاب، لبنان، ص 185.

² ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ص 283.

³ عبد الكريم عليوات: سراج الغيوب في أعمال القلوب، ص 185.

⁴ ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف الشحود، ج 5، ص 314.

وسيكون لنا مزيد عنايةٍ وتفصيلٍ لهذا المطلب من خلال سياقات القرآن الكريم وخطاباته في المباحث التطبيقي القادمة.

المبحث الأول: الندم في الدنيا

المطلب الأول: ندم الأنبياء والمؤمنين

المطلب الثاني: مظاهر الندم في الدنيا

المطلب الثالث: آثار الندم في الدنيا

المبحث الأول: الندم في الدنيا

لقد جاء تصوير انفعال الندم في القرآن الكريم لبيان أن شعور الإنسان به دليل على رسوخ الخير فيه، فعندما يعترف الإنسان بذنبه قبل فوات الأوان، ويبدأ بتصحيح مساره هذا دليل على أنه إنسان مستيقظ، لأن هذا الشعور باعث للتوقف عن المعصية، ودافع لاتخاذ القرار بعدم العودة إليها، وعليه في هذا المبحث سنتحدث عن صور انفعال الندم في الدنيا من خلال سياقات القرآن الكريم وخطاباته.

المطلب الأول: ندم الأنبياء والمؤمنين

الفرع الأول: ندم الأنبياء

ذكر القرآن الكريم انفعال الندم عند بعض الأنبياء عليهم السلام، ضمن مشاهد ووقائع مختلفة، وفي هذا الفرع سنتحدث عن الأنبياء الذين حصل معهم انفعال الندم، وكيف أثر هذا الانفعال في حياتهم وفي طريق دعوتهم للحق، وكيفية تعاملهم مع أقوامهم، وغير ذلك.

أولاً: ندم آدم عليه السلام بعد الأكل من الشجرة وعصيان الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

المعنى الإجمالي:

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ "وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم وحواء عليهما السلام، واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى: قالوا يا ربنا إنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ يعني وأنت يا ربنا إن لم تستر علينا ذنبا، وتتفضل علينا برحمتك ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني من الهالكين"¹، ويقول سيد قطب في هذا: "إنها خصيصة «الإنسان» التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه... الاعتراف، والندم، والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة به، وطلب رحمته، مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة

¹ علاء الدين الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج2، ص189.

إلا بعون الله ورحمته ... وإلا كان من الخاسرين¹، ودل السياق أنه حين قالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ أي ضررناها بأن أخرجناها من نور الطاعة إلى ظلام المعصية، فإن لم ترجع بنا وتب علينا لنستمر عاصيين ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ﴾ أي تمحو ما عملناه عيناً وأثراً، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ فأعربت الآية عن أنهما فزعا إلى الانتصاب بالاعتراف، وسيما ذنبهما، ظلماً كما هي عادة الأكابر في استعظام الصغير منهم، ولم يجادلا كما فعل إبليس، وفي ذلك إشارة إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الأشراف لكونه من معالي الأخلاق، وأنه لا مثيل له في اقتضاء العفو وإزالة الكدر، وأن الجدال من فعال الأردال ومن مساوي الأخلاق وموجبات الغضب المقتضى للطرده²، وبالتالي نستخلص من هذه الآية أن الله عز وجل فتح للإنسان أبواب الكمال والرقى، وأمره بالطاعة، وحتى لو أخطأ فإن باب التوبة مفتوح له متى تحسر وندم.

الهدايات المستنبطة من الآية:

- شرط التوبة الاعتراف بالذنب وذلك بالاستغفار أي طلب المغفرة³. لذلك يجب على الإنسان أن يقر بذنبه ويعترف بخطئه.

- من أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع؛ إذا صدرت منه الذنوب اجتباه ربه وهداه، ومن أشبه إبليس؛ إذا صدر منه الذنب بالإصرار والعناد، فإنه لا يزداد من الله إلا بُعْداً⁴.

- بالتأمل في هذه الآية الكريمة وما بها من الخير العظيم للبشرية بسهولة الرجوع إلى الله، فندم آدم لمعصيته لربه، ومعاتبة الله إياه عتاباً خفيفاً استلزم توبته عليه السلام، هذا يدعونا إلى أن نكون رحماً في ما بيننا، وأن لا نبعد صاحب الخطيئة إذا تاب ورجع عن خطئه، لكي لا يكون هذا من أسباب تفشي الجريمة في المجتمع وإحداث النزعات الأسرية، لذا يجب أن نتعامل مع

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص201.

² البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج7، ص375-376.

³ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط5، (1424هـ-2003م)، ج2، ص160.

⁴ جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ، ص153.

المذنب بأبوة وفي حدود الخطأ المرتكب.

ثانيا ندم موسى عليه السلام على إلقاء الألواح وجرّ رأس أخيه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشِمْتُمْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: 150-151].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسير هذه الآية التي جاء فيها وصف دقيق وتصوير عجيب لرسم

الحالات النفسية التي مر بها موسى عليه السلام، الحالة الأولى: "﴿غَضِبْنَا أَسِفًا﴾" أي حزينا، أو شديد الغضب، أو مغتاظا، أو نادما، غضب عليهم لعبادة العجل أسفاً على ما فاته من المناجاة، أو غضب على نفسه من تركهم حتى ضلوا أسفاً على ما رآهم عليه من المعصية¹، ودل السياق على هذا الأمر من حيث "أثر ذلك على موسى إذ أنه في حال رجوعه، كان غضبان أسفاً، واشتد أساه وحزنه حين رأى الواقع المؤلم من ضلال قومه وغيهم، فبادر إلى تعنيف أخيه هارون بسبب عبادة قومه العجل، ولامه على سكوته على قومه²، ومن إفراط قهره وغضبه أخذ برأس أخيه هارون يجرّه إله زجرا عليه لعدم منعهم عن فعلهم هذا حتى لا يضلوا ولا يكفروا، قال هارون معتذرا متحزنا ، ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ لشدة غيظهم علي وعداوتهم معي فلا تشمت ولا تفرح يا أخي بي الأعداء ولا تجعلني شريكا معهم³، ثم تبدأ الحالة النفسية الثانية وهو الشعور بالندم والخطأ وكان بادياً على موسى من خلال دعائه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ "فطلب المغفرة له أولاً ولأخيه ثانياً ليزيل عن أخيه ما خافه من الشماتة

¹ العز ابن عبد السلام: تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهي، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، (1416هـ-1996م)، ج 1، ص 504.

² وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ، ج 9، ص 100.

³ ينظر: نعمة الله النحجواني: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي، مصر، (1419هـ-1999م)، ج 1، ص 268.

فكأنه قد ندم مما فعله بأخيه، وأظهر أنه لا وجه له وطلب المغفرة من الله مما فرط منه في جانبه ثم طلب المغفرة لأخيه إن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم وتغيير ما وقع منهم¹.

الهدايات المستتبطة من الآية:

وظّف التعبير القرآني في هذا المشهد صورتين نفسيّتين لموسى عليه السلام؛ الأولى: غضبه لله عندما تنتهك محارمه، والثانية: ندمه عن سوء الأدب مع أخيه مع أنه أكبر منه سنناً وهو لم يقصر في دعوة قومه.

ويؤخذ من هذه الآية أن حالة الغضب لا يصح أن تقاوم بالشدة؛ بل باللين، خصوصاً بين متحابين فانظر كيف أن هارون عليه السلام حينما قابل غضب أخيه وبأسه بليته وهدوئه: سكن موسى وطلب لنفسه ولأخيه الغفران².

أراد الحق سبحانه أن يبين لنا موقف موسى وموقف أخيه ، فموقف موسى ظهر حين غضب على أخيه وابن أمه، وموقف هارون الذي بيّن العلة في أن القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه، ولا يمكن أن يطلب منه فوق هذا³.

¹ صديق حسن خان: فتح البيان في مقاصد القرآن ، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصريّة ، بيروت، (1412هـ-1992م)، ج5، ص25.

² محمد بن الخطيب: أوضح التفاسير، الطبعة المصرية، ط6، (1383هـ-1964م)، ج1، ص200.

³ محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، ج7، ص4366.

ثالثاً: ندم نوح عليه السلام على استغفاره لولده الكافر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾
[هود: 45-47].

المعنى الإجمالي:

﴿قَالَ﴾ الله له: "إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم ، فلا تسأل ملا تعلم عاقبته ،
وأني أعظك وعظا تكون به من الكاملين ، وتنحو من صفات الجاهلين ، فحينئذ ندم نوح عليه
السلام، ندامة شديدة على ما صدر منه، و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾"¹.

الهدايات المستنبطة من الآية:

أَنَّ سَوَّالَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا سَأَلَهُ لِابْنِهِ لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ تَعَالَى خَالَفَ فِيهَا أَمْرَهُ أَوْ
نَهْيَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ خَطَأً فِي اجْتِهَادِ رَأْيِ بَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ، وَإِنَّمَا عَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى ذَنْبًا لَهُ لِأَنَّهَا كَانَتْ دُونَ
مَقَامِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بِمَنْزِلَتِهِ مِنْ رَبِّهِ².

-كان اعتذار نوح بمثابة توبة كاملة تتضمن عُصْرِيَّ حَقِيقَةَ التَّوْبَةِ وَهَمَا:

الأول: في المستقبل: وهو العزم على الترك، وإليه الإشارة بقوله: إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا
لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَالثاني: في الماضي: وهو الندم على ما مضى، وإليه الإشارة بقوله: وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي
وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ³.

¹ عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،
ط1، (1420هـ-2000م)، ص382.

² محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990هـ، ج12، ص72.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج12، ص80.

-بالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحا عليه السلام، لم يكن عنده علم، بأن سؤاله لربه، في نجاة ابنه محرم¹.

رابعا: ندم يونس عليه السلام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87-88].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في هذا الموضوع: " واذكر -أيها النبي- قصة يونس صاحب الحوت إذ ضاق بإعراض قومه عن دعوته، فهجرهم ورحل عنهم بعيداً غاضباً عليهم، ظاناً أن الله أباح له أن يهجرهم، فظن أن الله لن يقدر عليه، فابتلعه الحوت، وعاش وهو في ظلمات البحر، ونادى ربه ضارعاً إليه معترفاً بما كان منه قاتلاً: يا رب، لا معبود بحق إلا أنت، أنزهك عن كل ما لا يليق بك، أعتزف أني كنت من الظالمين لنفسي بعمل ما لا يرضيك"²، وهنا نلاحظ أن يونس قد شعر بالذنب والندم على ما بدر منه لتركه الصبر في دعوته لقومه، فاعتزف بخطئه وذنبيه.

الهدايات المستنبطة من الآية:

-دعاء يونس عليه السلام الذي في ضمن الاعتراف بالذنب على اللطف وجهه وأكده فيه إشارة إلى انه تعالى كما أجاب يونس ونجاه من ظلمات كذلك ينجي روح المؤمن³.
-ومن الآثار المستفادة أيضاً من هذا المشهد هو الندم على الذنب والرجوع إلى الله، طماعاً ما عنده من جزاء عظيم للتوبة النصوح، بعد الأمر الذي يكونه الذنب في نفس الإنسان من مرارة وحسرة.

-يقول سيد قطب في وصفه لهذا المشهد: " وأقرب ما يحضرنى لتمثيل لهذه الحالة جهاز الاستقبال عند البحث عن محطة إرسال ، إنك لتحرك المشير مرات كثيرة ذهاباً وإياباً فتخطئ

¹ عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص382.

² مجموعة من العلماء: تفسير المنتخب، ج2، ص54.

³ إسماعيل حقي: روح البيان، دار الفكر، بيروت، ج5، ص516.

المحطة وأنت تدقق وتصوب ، ثم إذا حركة عابرة من يدك فتتصل الموجة ، وعليه فالقلب البشري هو أقرب ما يكون إلى جهاز الاستقبال ، وأصحاب الدعوات لا بد أن يحاولوا تحريك المشير ليتلقى القلب من وراء الأفق ، ولمسة واحدة بعد ألف لمسة قد تصله بمصدر الإرسال ، وإن في رجعة ذي النون إلى ربه واعترافه بظلمه لعبرة لأصحاب الدعوات ينبغي أن يتدبروها"¹.

من خلال مشاهد الندم عند الأنبياء عليهم السلام ، رأينا أن في قصة كل نبي عبرة وحكمة عظيمة، والناظر في حال الأنبياء عليهم السلام، يجد شعورهم بالذنب والتحسر والحزن واعترافهم بالخطأ باديا عليهم، فهذه الانفعالات دليل على عظمة نفوسهم، وصبرهم، فالندم طريق للخروج من المصائب والهموم، ونجاة من الغم.

الفرع الثاني: ندم المؤمنين

قد ذكر القرآن الكريم انفعال الندم عند بعض المؤمنين ، ضمن مشاهد مختلفة ، سنعرضها ونبين أثر هذا الانفعال في نفوسهم، وغير ذلك.

أولاً: ندم قاييل على قتل أخيه هايبيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ [المائدة: 30-31].

المعنى الإجمالي:

جاء في تفسير هذه الآية أنه "بعد قتله أصابته حسرة وحيرة، ولم يدر ما يصنع بجثته، فأرسل الله غراباً ينبش تراب الأرض ليدفن غراباً ميتاً، حتى يُعَلِّمَ ذلك القاتل كيف يستر جثة أخيه، فقال القاتل مُحِسّاً بوبال ما ارتكب، متحسراً على جريمته"²: (ياويلتي) "ويلتي كلمة جزع وتحسر، وقد ناداها كأن الويل غير حاضر عنده، فناداه ليحضر، أي: أيها الويل احضر، فهذا أوان حضورك"³ من شدة كبر ذنبه، وجاء ذكر هذا المشهد في سياق ذكر "تمرد بني إسرائيل وعصيانهم لأمره في قتال الجبارين، أتبع ذلك بقصة ابني آدم وعصيان قاييل أمر الله وإقدامه على قتل النفس

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص170.

² مجموعة من العلماء: تفسير المنتخب، ج1، ص178.

³ محيي الدين درويش: إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، بيروت، ط4، 1415هـ، ج2، ص458.

البريئة التي حرّمها الله¹، ثم صور المشهد حالته بعد هذا الذنب: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، فلين قيل: أليس الندم توبة، فلم لم يقبل منه؟ وفي ذلك أربعة أجوبة وهي²:

أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها حصّت بخصائص لم تُشارك فيها.

والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله.

والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله.

والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب.

الهدايات المستتبطة من الآية:

قصة ابني آدم ظاهرهما أن أول ذنب وقع في الأرض -في ظاهر القرآن- وهو الحسد والبغي، والذي أدى به للظلم وسفك الدم الحرام الموجب للخسران³.

الندم وحده لا يكفي لتكون التوبة صحيحة، بلا لا بد من أن يكون الندم نابعا من

خشية الله والخوف لقبح المعصية، وهذا دلت عليه هذه القصة.

ولهذه القصة أثر عظيم في كونها تكشف عن بشاعة الجريمة وفجورها؛ وضرورة الوقوف في

وجهها والعقاب لفاعلها، والاستعداد الذي تنشئه في القلب والعقل لتلقي الأحكام المشددة التي

يواجه بها الإسلام جرائم الاعتداء على النفس والحياة؛ والاعتداء على النظام العام؛ والاعتداء

على المال والملكية الفردية؛ في ظل المجتمع الإسلامي؛ القائم على منهج الله؛ المحكوم بشريعته⁴.

¹ محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، (1417هـ-1997م)، ج1، ص311.

² ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص539.

³ جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص112.

⁴ ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج2، ص347.

ثانياً: ندم بني إسرائيل على عبادة العجل

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 194].

المعنى الإجمالي:

نلاحظ أن الندم في هذا السياق ﴿وَمَا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: "كناية عن اشتداد ندمهم، فإن النادم المتحسر يعرض يده غمًا، فتصير يده مسقوطًا فيها، أو يسقط رأسه، أي: يطأطؤها لبعض يده، قال الزجاج: يقال للرجل النادم على ما فعل، المتحسر على ما فرط: قد سقط في يده وأسقط في يده¹، والمناسبة في تقديم الندم في قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا﴾ "قد حصل بعد تحريق موسى للعجل، ونسفه في اليم فإن كان من قواعد النحو أن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب، فمن قواعد علم المعاني أن ما لا يجب الترتيب فيه بزمان ولا رتبة أن يقدم في سرده وفي نسقه الأهم، فإن لم يكن تقديم الندم هنا لسبقه في الزمن فالأظهر أنه للمبالغة في استشعارهم استحقاق العقاب، ومن المعلوم أن العلم بالضلال وحده لا يقتضي العفو والمغفرة إلا إذا ترتب عليه العمل بمقتضاه؛ وهو التوبة، والرجوع إلى الله تعالى بالعمل، فإن الذين ضلوا على علم ولم يتوبوا؛ أشد الناس عقابًا، فعلم بذلك أن تقديم الندم أهم من العلم بالضلال، وهذا من فضل الله الذي لم نره لأحد"².

الهدايات المستنبطة من الآية:

يُستفاد من الآية أنه على العبد إذا أخطأ أو قصّر في حق ربه أن يعترف بعظيم الجرم الذي أقدم عليه، وأنه لا ملجأ من الله في إقالة عثرته إلا إليه³.
إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه التوبة بعد المعصية فندم واستغفر⁴.
من هداية هذه الآية بيان سنة من سنن الكون وهي أن المرء يتأثر بما يرى ويسمع، والرؤية أكثر تأثيراً في النفس من السماع فإن بني إسرائيل رؤيتهم للأبقار الآلهة التي مروا بأهل

¹ ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج2، ص155.

² محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج9، ص176.

³ جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص168.

⁴ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج2، ص240.

قرية يعكفون عليها وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً مثلها هو الذي جعلهم يقبلون عجل السامري الذي صنعه لهم، ومن هذا كان منظر الأشياء في التلفاز وشاشات الفيديو مؤثراً جداً وكم أفسد من عقول ولوثة من نفوس، وأفسد من أخلاق¹.

ثالثاً: ندم إخوة يوسف وطلب أبوهم المغفرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسير هذه الآية: "لقد أحسوا بعظم الذنب، وهو أول طريق التوبة وندموا على ما فعلوا، وطلبوا المغفرة، وبذلك توافرت عناصر التوبة طلبوا من بعد ذلك أن يطلب أبوهم المغفرة؛ لأنه مع الذنب العظيم هو المجني عليه، وهم يطلبون مرضاته، وفتح قلبه لهم وهو القريب إلى الله، ولذا لجأوا إليه، وعبروا بـ ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ آثمين غير مدركين سوء المغبة"²، يقول الإمام البقاعي: "ولما كان ذلك تشوفت النفس إلى علم ما يقع بينه وبين أولاده في ذلك، فدفعت عنها هذا العناء بقوله: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا﴾ منادين بالأداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعدها لما له من عظيم الوقع: ﴿اسْتَغْفِرْ﴾، أي اطلب من الله أن يغفر ﴿لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، ورد كل ضمير من هذه الضمائر إلى صاحبه في غاية الوضوح، فلذلك لم يصرح بصاحبه"³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

- إن إحساس العبد بكبر الذنب هو أول طريق للتوبة⁴.

- كرم يعقوب وحسن عفوه وصفحه على أولاده إذ استغفر لهم ربهم فغفر لهم⁵،

وهذا الفعل فيه تثبيت للتوبة فمن عفى عن مخطئ أقر بندمه، كان ذلك أدعى لتثبته في طريق التوبة والهداية.

¹ المصدر السابق، ج2، ص240.

² أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج7، ص3860.

³ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج10، ص215.

⁴ ينظر: أبو زهرة: زهرة التفاسير، ج7، ص3860.

⁵ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج2، ص647.

ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة¹.

توفر عناصر التوبة في هذه الآية الكريمة من الإحساس بالذنب والندم عليه وطلب

المغفرة².

رابعاً: ندم أصحاب الجنة على إمساك ومنع الخير

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ [القلم: 26-33].

المعنى الإجمالي:

نلاحظ "أن مشهد الندم في هذا السياق جاء بعد تصوير حالتهم الشنيعة ، على إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ على الوصف الذي ذكر الله كالصريم فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة³، وجاء ذكر هذا المشهد في سياق ذكر مطلب هداية قريش قوم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال تعالى ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القلم: 17]، يعني كفار قريش أي امتحانهم واختبرناهم بالآلاء والنعم لعلهم يشكرون فلم يشكروا ثم بالبلاء والنقم أي بالقحط والجذب والقتل لعلهم يتوبون كما بلونا أصحاب الجنة فتابوا ثم ذكر تعالى قصة أصحاب الجنة الذين ابتلاهم فتابوا إليه ورجعوا إلى طاعته⁴.

¹ البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ، ج3، ص195.

² ينظر: أبو زهرة: زهرة التفاسير، ج7، ص3860.

³ ينظر: عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص880.

⁴ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج5، ص411.

الهدايات المستنبطة من الآية:

-بيان من نعم الله على عباده تعجيل العقوبة في الدنيا ليحس العبد بالندم.
-يستفاد من هذه القصة أن الاستئثار بالنعم من الأمور المذمومة التي توجب البلاء العظيم، الذي يحفظهم من نومة الضلال والحرمان، ويصبح بداية الطريق في آفاق التوبة والإنابة، والتي أولها اكتشاف الإنسان خطئه في الحياة.

-بيان ما يحدثه الندم في نفس الإنسان بعد التنبيه وما يليه من توبة نصوح.

وفي ختام هذا المطلب نستخلص مجموعة من القيم والفوائد ، ومنها أن الندم يدفع الإنسان إلى اعترافه بالخطأ وبذل مجهوده لتصحيح أخطائه وإصلاح سلوكه ، وأنه أيضا ركن من أركان التوبة بل هو من أول أركانها؛ "لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق التوبة؛ بمعنى أن يتحسر على ما سبق منه وينكسر من أجله ، ولا يرى أنه في حل منه حتى يتوب منه إلى الله"¹.

¹ ابن عثيمين: شرح رياض الصالحين، ج1، ص86.

المطلب الثاني: مظاهر الندم في الدنيا

للندم مظاهر تدفع الإنسان للشعور بالحسرة والأسف على ما أقترفه من ذنب، ولقد دعا القرآن الكريم في كثير من سياقاته على ذلك، حيث شجّع الإنسان أن يستغل فرصة وجوده في الحياة في التكفير عن ذنبه بالأعمال الصالحة، وفي هذا المطلب سندرس جملة من هذه السياقات.

الفرع الأول: العمل الصالح بعد الندم

الشعور بالندم يُؤلّد في نفس الإنسان ما يدفعه لتجديد إيمانه، وأن يعمل صالحاً ويغير ما كان عليه، فمكان السيئات يبدلها حسنات وصالحات، هذا المزيج من الندم والعمل الصالح لا بد منه في التوبة، ثم إذا تاب فإن من فضل الله تعالى على عباده أنه يقبل منه توبته، فلا يوجد نداءً أجمل وأرحم من نداء الله عز و جل لعباده المذنبين: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، وعليه سنعرض في هذا الفرع مواضع من آيات القرآن الكريم تتحدث عن أذنب عمّن أذنب ثم عمل الصالحات لتكفير ذنبه وما لتأثير هذا الأمر في إصلاح نفسه.

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 89].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسير هذه الآية: "لكن الذين أقبلوا عن ذنوبهم، وتابوا إلى ربهم، وتركوا ذلك الكفر، نادمين على ما أصابوا منه، وأصلحوا نفوسهم بصالح الأعمال التي تغذي الإيمان، وتمحو من صفحة القلب ما كان قد ران عليها، من ذميم الأخلاق والصفات، وفي هذا إيماء إلى أنّ التوبة التي لا أثر لها في العمل، لا يعتد بها في نظر الدين؛ لأنّ التوبة لم يكن لها أثر في نفوسهم، يهديهم إلى اتخاذ الطرق الموصلة لإصلاح شؤونهم، فظلمهم مغفرة ربهم ما يؤهلهم لدخول جنته"¹.

¹ ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص414.

الهدايا المستتبطة من الآية:

- باب التوبة مفتوح لكل من ندم على المعصية ، وكفر عن سيئاته بالعمل الصالح ، فالله يقبل توبة العبد، ما لم تحضره الموت فعندئذ لا تقبل منه.
- العمل الصالح هو الذي ينجي العبد يوم القيامة من العذاب.
- التوبة مقبولة متى قامت على أسسها واستوفت شروطها ومن ذلك الإقلاع عن الذنب فوراً، والندم على ارتكابه، والاستغفار والعزم على عدم العودة إلى الذنب الذي تاب منه وإصلاح ما أفسده مما يمكن إصلاحه¹.

الموضع الثاني

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿﴾ [الفرقان: 70-71].

المعنى الإجمالي:

تبين الآية أنه من تاب من الذنوب ، وصدق في إيمانه ، اتبع ذلك بالطاعة والأعمال الصالحة، يغفر له، وهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد ، فباب التوبة دائماً مفتوح، يدخل منه كل من استيقظ ضميره ، ثم يضع قاعدة التوبة وشرطها: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ ، فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية، وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فالمعصية عمل وحركة، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة، وإلا حنت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وهذه لحظة في منهج التربية القرآني عجيبة، تقوم على خبرة بالنفس الإنسانية عميقة²، وجاء في سياق هذه الآية أنه بعد أن أتم الله تهديد الفجار على مجموعة من الأوزار في الآيات السابقة ، أتبعه بترغيب الأبرار في التوبة

¹ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص343.

² ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص333.

والرجوع إلى حظيرة المتقين، فيفوزون بجنات النعيم¹.

الهدايا المستتبطة من الآية:

أن الندم والتوبة الصادقة من العبد تقتضي ترك المعصية وفعل الطاعة.

أن الله يحو سيئاتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانه ا صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد

توبتهم؛ لأن باب التوبة بابٌ عظيم وهو من أوسع أبواب الرحمة الإلهية.

وعد الله في هذه الآيات التائبين إليه عن المعاصي التي فعلوها وندموا على ما فرط منهم ،

وعوضوها بصالح الأعمال، فيضاً من عطائه لا مقابل له.

الموضع الثالث

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّخَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص:

67].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسيرهم لهذه الآية: " التوبة هنا الإقلاع عن الشرك والندم على تقلده،

وعطف الإيمان عليها لأن المقصود حصول إقلاع عن عقائد الشرك وإحلال عقائد الإسلام

محلها، ولذلك عطف عليه وعمل صالحاً لأن بعض أهل الشرك كانوا شاعرين بفساد دينهم كان يصددهم عن تقلد شعائر الإسلام أسباب مغرية من الأعراض الزائلة التي فتنوا بها²، (فَعَسَى)

"يعني إن دام على التوبة والعمل الصالح، فإن المنقطع لا يجد الفلاح، فينبغي لأهل الآخرة أن

يباشروا الأعمال الصالحة، وللأعمال تأثير عظيم في تحصيل الدرجات، وجلب المنافع والبركات،

ولها نفع لأهل السعادة في الدنيا والآخرة، ولأهل الشقاوة لكن في الدنيا فقط، فإنهم يجلبون بها

المقاصد الدنيوية من المناصب والأموال والنعم في الدنيا ، فلا بد من السعي بالإيمان والعمل

الصالح لتحصيل الثواب في الدنيا والآخرة"³، وجاء السياق موضحاً لهذا المعنى حيث أنه "لما ذكر

تعالى أحوال الكفار يوم القيامة، وما يكون منهم فيه، أخبر بأن من تاب من الشرك وآمن وعمل

¹ ينظر: محمد الأمين الشافعي: تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن، تح: هاشم محمد علي بن حسين

مهدي، طوق النجاة، بيروت، ط1، (1421هـ-2001م)، ج20، ص115.

² محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج20، ص146.

³ إسماعيل حقي: روح البيان، ج6، ص422.

صالحًا، فإنه مرجوُّ له الفوز في الآخرة، وهذا ترغيب للكافر في الإسلام¹.

الهدايا المستتبطة من الآية:

من أعظم الهدايا المستتبطة من هذه الآية هو أنه مهما بلغت ذنوب الإنسان ومهما كانت هذه الذنوب، فإن باب التوبة مفتوح.

وأما الذي تاب من المشركين، عما اقترفه من الشرك والذنوب والمآثم والمحارم، وآمن بربه إيمانًا مخلصًا، وصدق رسوله، وعمل في الدنيا عملاً صالحًا، فإنه يرجو أن يكون في الآخرة من المفلحين الفائزين برضوان الله².

الموضع الرابع

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: 53-56].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في بيان معنى هذه الآيات على أنها من أرجى الآيات في كتاب الله تعالى ، لاشتمالهم على أعظم البشارات ، وإنها دعوة لجميع القوافل البشرية لكي يرجعوا تائبين إلى الغفور الرحيم ، خالعين ثياب القنوط ، محسنين الظن برهم مخلصين في العمل والإنابة إليه ، بالتوبة من المعاصي ، فمن فاته قطار التوبة وانقطع به الطريق في واقع الذنوب والمعاصي ليس له إلا الهوان والحسرات والندم على التقصير والسخرية والاستهزاء بدين الله وكتابه وبرسوله وبالؤمنين³ ، وقد جاء ذكر هذه الآيات في سياق التحذير " ختم سبحانه بالحث على الإيمان، والنظر السديد في العرفان، وكانت كثرة الوعيد ربما أياست ونفرت وأوحشت، وصدت عن

¹ محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان، ج21، ص254.

² ينظر: أسعد حومد: أيسر التفاسير، ص3201.

³ يُنظر: محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان، ج25، ص56-61.

العطف وأبعدت، قال تعالى مستعطفاً مترفقاً بالشاردين عن بابه متلطفاً جامعاً بين العاطفين، كلام ذوي النعمة على لسان نبي الرحمة صارفاً القول إلى خطابه بعد أسلوب الغيبة: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ﴾ أي يا أكرم الخلق وأرحمهم بالعباد¹.

الهدايات المستنبطة من الآية:

- دعوة لجميع القوافل البشرية لكي يرجعوا تائبين إلى الغفور الرحيم.
على الإنسان أن يعزم على تطهير نفسه من الذنوب والخطايا، وأن لا يتجردد في العودة إلى الله، قبل أن يخدم في ساعة لا ينفع فيها الندم.
ينبغي أن يتوب العبد إلى ربه قبل أن يفوت الأوان ويحلّ العذاب.

الموضع الخامس

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25-26].

المعنى الإجمالي:

جاءت هذه الآية "لترغيب من يريد التوبة والرجوع عما هو فيه من ضلالة، قبل أن يقضى في الأمر القضاء الأخير، ويفتح لهم الباب على مصراعيه، فالله يقبل عنهم التوبة، ويعفو عن السيئات؛ فلا داعي للقنوط واللجاج في المعصية، والخوف مما أسلفوا من ذنوب، والله يعلم ما يفعلون، فهو يعلم التوبة الصادقة ويقبلها، كما يعلم ما أسلفوا من السيئات ويغفرها، وفي ثنايا هذه اللمسة يعود إلى جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يستجيبون لدعوة ربهم، وهو يزيدهم من فضله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وباب التوبة مفتوح للنجاة من العذاب الشديد، وتلقي فضل الله لمن يستجيب²، "تجيء هذه اللمسة بعد ما سبق من مشهد الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم، ومشهد الذين آمنوا في روضات الجنات، ونفي كل شبهة عن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغهم به عن الله، وتقرير علم الله

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج16، ص533.

² سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3157.

بذوات الصدور"¹.

الهدايات المستتبطة من الآية:

وجوب التوبة وقبول الله تعالى لها، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة، وللتوبة ثلاثة شروط: الإقلاع الفوري عن المعصية، والاستغفار، والندم على ما فعل من المعصية بترك الواجب أو بفعل المحرم، وإن كان الذنب يتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو التحلل من الآدمي بأداء الحق أو بطلب العفو منه².

يجيب الله ويقبل توبة المؤمنين بعد عودتهم إليه خاشعين نادمين على ما فعلوا من معصية، مكفرين عنها بأعمالهم الصالحة، فيغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويزيدهم من فضله.

¹ المصدر السابق، ج5، ص3157.

² أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج4، ص610.

الفرع الثاني: التحسر والحزن

الندم انفعال يشعر به الإنسان ، يولد معه مجموعة من أحاسيس الأسى والحزن والحسرة ، ثم أن هذا الشعور يولد بالإنسان العزم الصادق على إصلاح نفسه ، وتدارك ما فاته قبل فوات الأوان، والعزم على الطاعة وترك المعصية ، وعليه سنستعرض في هذا الفرع مواضع من آيات القرآن الكريم نتحدث عن أذن ثم ندم فغمرته مشاعر الحسرة والحزن والأسف ، في المواضع التالية:

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: 102].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في هذه المشهد "تفضل الله تعالى بالعتو عن الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد في غزوة تبوك ولم يكن تخلفهم عن نفاق، وكان أمرهم مرجأ إلى أن يبين الله حكمه فيهم، وهو يعلم أنهم مؤمنون صادقون، لذا كانت توبتهم خالصة، وندمهم شديدا حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على سعتها، وضاقت عليهم نفوسهم حسرة وهماً وحزنا من، وحينئذ هداهم إلى التوبة، وعفا عنهم، فهو التواب الرحيم¹، "والحكمة من إيهاهم أمرهم، إثارة الهم والخوف في قلوبهم لتصح توبتهم لأن التوبة عند ما تجيء بعد ندم شديد، وتأديب نفسي تكون مرجوة القبول منه سبحانه"²، وهذا ما أكده السياق عندما "صرح بالتوبة على من قارب الزبغ وخلط معهم أهل الثبات إشارة إلى أن كل أحد فقير إلى الغني الكبير وليكون اقتراهم بأهل

¹ ينظر: مجموعة من العلماء: تفسير المنتخب، ص281

² محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط 1، 1998م، ج 6، ص400.

المعالي، وجعلهم في حيزهم تشريفاً لهم وتأنيساً لئلا يشتد إنكارهم، أتبعه التوبة على من وقع منه الزبغ فقال غير مصرح بالزبغ تعليماً للأدب وجبراً للخواطر المنكسرة"¹.

الهدايات المستنبطة من الآية:

توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلع إليها الصادقون، لصدقهم مع أنفسهم وفي صدقهم في الاعتراف أمام الله تعالى بسوء الفعل.

إن التوبة تعني عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وخشية الله هي من أعظم أسباب النجاة من الهلاك.

الموضع الثاني

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَكْفُرُ بِمَا كُنتَ قَبْلَ وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 90-91].

المعنى الإجمالي:

قال الإمام البقاعي في تفسيره لهذا المشهد " إنه الموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب، والسياق يعرضه مختصراً مجملاً، لأن الغرض من سياق هذه الحلقة من القصة في هذه السورة هو بيان هذه الخاتمة، بيان رعاية الله وحمايته لأوليائه، وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه، الذين يغفلون عن آياته الكونية وآياته مع رسله حتى تأخذهم الآية التي لا ينفع بعدها ندم ولا توبة"²، ولأن طغيانه صده عن الحق فلا بد أن يدفع ثمن هذا الطغيان والفساد، حسرة وندماً في الحياة الدنيا قبل الممات، ثم أضاف الإمام البقاعي في وصفه لسباق المشهد " ولما كان فاعل ذلك جديراً بأن يرجع عما سلكه من الوعورة، عجب منه في تماديه فقال عاطفاً على ما تقديره: واستمر يتمادى في ذلك ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾"³.

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج9، ص38.

² سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص407.

³ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص104.

الهدايات المستنبطة من الآية:

تحدثت الآية عن سوء خاتمة فرعون المتجبر حيث كانت نهاية وميتة شنيعة ، هو حال كثير من طغاة عالمنا العربي ، ويفيقون بعد فوات الأوان ليكون لمن بعده عبرة وآية، فيندمون حين لا ينفع الندم.
 -ندم فرعون في وقت لا ينفع فيه الندم وهو الندم عند معاينة العذاب لا تنفع ، فكانت حسرة وندماً في الحياة الدنيا قبل الممات.

الموضع الثالث

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 157-159].

وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [هود: 65].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسير هذه الآية: فقتلوا الناقة، فقال لهم نبيهم صالح: "تمتعوا في دياركم ثلاثة أيام، وبعد ذلك يحل بكم العذاب، فندموا على ما فعله أشقياؤهم" ¹، قال ابن عباس: "ندموا حين رأوا العذاب، على عقربها، وعذابهم كان بالصيحة" ²، (فَأَصْبَحُوا)؛ أي: "صاروا (نَادِمِينَ) ومتحسرين على عقربها، وقتلها ندم الخائفين من العذاب العاجل، أو ندم التائبين عند معاينة العذاب، فلذلك لم ينفعهم الندم كفرعون حين ألجمه الغرق" ³، "وفي الموعد الذي حدده لهم صالح، حل بهم عذاب الله، فزلزلت الأرض زلزالا شديدا، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون، وأصبحوا في ديارهم هلكي جاثمين تملئ قلوبهم الحسرة والندم" ⁴، وجاء هذا المشهد في سياق ذكر قسس الأنبياء أنه "لما قص الله على

¹ أسعد حومد: أيسر التفاسير، ص2971.

² ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج3 ص346.

³ محمد الأمين الشافعي: حقائق الروح والريحان، ج20، ص293.

⁴ أسعد حومد: أيسر التفاسير، ص2972.

رسوله قصة هود عليه السلام وعاد، أتبعه بقصة صالح عليه السلام وثمود¹.

الهدايا المستتبطة من الآية:

-الندم من التوبة ولكن لا ينفع ندم ولا توبة عند معاينة العذاب أو أماراته².
-لم يدفع الندم عنهم عقاب جرمهم وإن في ذكر قصتهم لدلالة على قدرة الله على إهلاك الكافرين وإنقاذ المؤمنين³.
-نفى الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب، وإن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم⁴.
-القرآن علامة لنبوة نبينا عليه السلام فمن رفضه ولم يعمل بما فيه ولم يعظمه يصير نادماً غداً ويصيبه العذاب⁵.

الموضع الرابع

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 42].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسير هذا المشهد "فوجئ الرجل الكافر بهلاك ماله ، وضياع أعماله، في لحظة عابرة، فشعر بخسارته وضلاله، فندم ندامةً بالغة، عبر عنها القرآن ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ﴾، أصبح يقلب كفيه حسرة، وندامة وحنناً⁶، وجملة ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ حكاية لتندمه على على ما فرط منه حين لا ينفعه الندم بعد حلول العذاب"⁷، ويقول الإمام البقاعي: "ولما كان من المعلوم أن هذا المؤمن المخلص بعين الرضى، كان من المعلوم أن التقدير: فاستجيب لهذا

¹ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج19، ص198.

² أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج3، ص117.

³ مجموعة من العلماء: تفسير المنتخب، ص556.

⁴ البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص147.

⁵ إسماعيل حقي: روح البيان، ج6، ص300.

⁶ صلاح الخالدي: مع قصص السابقين، دار القلم، دمشق، ط5، (1428هـ-2007م)، ج2، ص372.

⁷ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج15، ص327.

الرجل المؤمن، أو: فحقق له ما توقعه فخيّب ظن المشرك، فعطف عليه قوله: ﴿وَأَحِيطَ بِشَرِّهِ﴾¹
أي: أوقعت الإحاطة بالهلاك¹.

الهدايات المستنبطة من الآية:

هذا الإنسان الذي يرى جنته قد انتهت ، فندم ندامةً عملية ، تمثلت في تقليب لكفيه ،

وندامة قوليه، تمثلت في قوله: ﴿يَلَيْتَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَدًا﴾².

التعبير بتقليب الكفين، هو كناية عن الحسرة الشديدة، والندم العظيم.

إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا³، فلملخندول من خذله الله تعالى فإنه لا

ينصر أبداً⁴.

من خلال هذا المطلب يتبين أن الندم إن لم يكن لكبر المعصية وحسرة وخوف من عذاب الله لم يكن توبة ، وما يتبعه من الأعمال الصالحة بعده والإخلاص فيها إلى الله ، فهو يغفر الذنوب جميعاً، يقبل التائبين حين يسارعون بالندم قبل فوات الأوان وحلول العذاب ، فإنه لا ينفع الندم عند معاينة العذاب.

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص64.

² صلاح الخالدي: مع قصص السابقين في القرآن، ج2، ص376.

³ المرجع نفسه، ج1، ص298.

⁴ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج3، ص260.

المطلب الثالث: آثار الندم في الدنيا

إن الشعور بالندم نعمة كبيرة في حياة الإنسان وإضافة إلى ذلك فهو سبيل لغسيل النفس وتنقيتها، وهذا الشعور له أثر في الماضي وأثر في الحاضر وأثر في المستقبل، وسنشرح هذه الآثار في الفروع التالية:

الفرع الأول: أثر الندم في الماضي

يعتبر الشعور بالندم نقطة ايجابية نحو تأنيب الضمير والخوف من العقوبة على ما فرط من أخطاء في الماضي "والحسرة بسبب فعل المعصية، وانخلاع القلب وتقطع الفؤاد، خوفاً وندماً، وهذا إنما يكون بقدر الجناية وعظمة الذنب وصغره، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: 110]، تقطعها من الندم"¹، "فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى، فعلاصة صحة الندم رقة القلب وحرارة الدمع، ومن علامته أن تتمكن مرارة الذنوب في قلبه بدلاً من حلاوتها، فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة كمن ينفر عن عسل فيه سم ولو كان غاية الجوع والشهوة للحلاوة، فوجدان التائب مرارة الذنوب كذلك يكون، وذلك لعلمه بأن كل ذنب ذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم، ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان؛ ولما عزّ مثل هذا الإيمان عزّت التوبة والتائبون"². "ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة ودوام التفكير بها يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وإذا ما قطع التائب قلبه فإنه يمثل حقيقة التوبة التي يريد الله سبحانه وتعالى، ومن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط، حسرة وخوفاً وندماً، تقطع في الآخرة لا محالة، وإذ لا بد من تقطع إما في الدنيا وما أحلاه، وإما في الآخرة وما أمره"³.

¹ إبراهيم خضير الشمري: الكبيرة والآثار المترتبة عليها عند المتكلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971هـ ص438.

² أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص34.

³ إبراهيم خضير الشمري: الكبيرة والآثار المترتبة عليها عند المتكلمين، ص438.

الفرع الثاني: أثر الندم في الحاضر

إن ثبات الإيمان في القلب واستشعار عظمة الله من الأمور التي تعين الإنسان على مجاهدة نفسه على الإقلاع عن المعصية في الحال "لأن النفس المشغولة بلذة المعصية قلماً تُخلص عمل الخير؛ فيجاهد التائب نفسه لاقتلاع جذور الشر من قلبه، حتى يصبح نقيًا خالصًا صافيًا، تصدر عنه أعمال الخير بنية صالحة مقبولة عند الله؛ فإن كانت المعصية بفعل محرم تركه في الحال، وإن كانت بترك واجب فعله في الحال إن كان مما يمكن قضاؤه، وإن كانت مما يتعلق بحقوق الخلق تخلص منها وأداها إلى أهلها"¹.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين: "وأما الإقلاع: فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب"²، "فلإقلاع عن الذنب والتوقف عن إتيانه هو أظهر معاني التوبة ولا تتضح ولا تصح إلا بالإقلاع عن الذنب أما التوبة مع الإقامة على الذنب والاستمرار فيه فهي كما قال المنذري: هذه توبة الكذابين، ومما يدل على وجوب الإقلاع عن الذنب، وأن عدم الإقلاع عن الذنب فيه خطورة عظيمة على دين المسلم ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرِّينَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]»³، فالمصر على الذنب والمقيم عليه إذا لم يكن له توبة صحيحة فيخشى عليه أن يطبع على قلبه فتتعرس عليه"⁴.

¹ صالح السدلان: التوبة إلى الله-معناها، حقيقتها، فضلها، شروطها-، ص 22.

² ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ص 200.

³ أخرجه: ابن ماجه السنن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم: 4244، ج 2، ص 1418، قال الألباني: حسن.

⁴ سعود الخلف: المباحث العقديّة المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (1424هـ-2004م)، ص 121.

الفرع الثالث: أثر الندم في المستقبل

ينبغي أن يكون الإنسان على خوف وقلق من المستقبل ، وأن يعزم العزم الجازم على عدم معاودة الذنب: "فيتوب من الذنب وهو يُجَدِّث نفسه ألا يعود في المستقبل، والقصد لتدارك ما فات وإصلاح ما يأتي، ودوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت، والعزم الجازم على فعل المأمور، وترك المحذور، والتزام ذلك طيلة حياته، وإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة من العزم الجازم فلا يضر توبته لله مرة أخرى إن ندم وأسف وسارع إلى التوبة؛ عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يحكي عن ربه عز وجل، قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»¹، ومعنى قوله: فقد غفرت لعبدي، أي ما دمت تذنّب ثم تتوب، غفرت لك²، "فمن شروط التوبة الصحيحة العزم على أن لا يعود في المستقبل إلى تلك الذنوب، ولا إلى أمثالها، ويعزم على ذلك عزمًا مؤكدًا، قبل سكرات الموت، قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: دخلت على جار لي وهو في الغمرات يعاني عظيم السكرات، يُغمى عليه مرة، ويفيق أخرى، وفي قلبه لهيب الزفرات، وكان منهمكًا في دنياه، متخلفًا عن طاعة مولاه، فقلت له: يا أخي، تب إلى الله، وارجع عن غيِّك، عسى المولى أن يشفيك من ألمك، ويعافيك من مرضك وسقمك، ويتجاوز بكرمه عن ذنبك. فقال: هيهات هيهات! قد دنا ما هو آت، وأنا ميّت لا محالة، فيا أسفي على عمر أفنيته في البطالة، أردت أن أتوب مما جنيت، فسمعت هاتفًا يهتف من زاوية البيت: عاهدناك مرارًا فوجدناك غدارًا، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونستغفره من الذنوب المتقدمة"³.

¹ أخرجه: مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم: (2758/29)، ج 4، ص 2112.

² صالح السدلان: التوبة إلى الله-معناها، حقيقتها، فضلها، شروطها-، ص 23.

³ محمد عويضة: فصل الخطاب في الزهد والرفائق والآداب، ج 4، ص 224.

في ختام هذا العرض يتبين أن للندم آثار في حياة الإنسان ، أما أثره في الماضي فندم وحسرة
وحزن بسبب فعل المعصية، وأما أثره في الحال فإقلاع عن المعصية، وأما أثره في المستقبل فعزيمة
صادقة على عدم ألا يعود إلى الذنب إلى الممات.

المبحث الثاني: الندم في الآخرة

المطلب الأول: ندم الكفار والمنافقين

المطلب الثاني: مظاهر الندم في الآخرة

المطلب الثالث: آثار الندم في الآخرة

المبحث الثاني: الندم في الآخرة

يتحسر الناس يوم القيامة سواء المؤمن أو الكافر، فالمؤمن يتحسر لنقص عمله من الطاعة والإحسان، والكافر يتحسر لتفريطه في جنب الله، وضياع أوقاته في المعاصي والذنوب، ولكن ما قيمة الندم بعد فوات الأوان، وعليه في هذا المبحث سنتحدث عن صور انفعال الندم عند الكفار والمنافقين في الآخرة من خلال سياقات القرآن الكريم وخطاباته.

المطلب الأول: ندم الكفار والمنافقين

الفرع الأول: ندم الكفار

ذكر القرآن الكريم انفعال الندم عند الكفار، ضمن مشاهد ووقائع مختلفة، وفي هذا الفرع سنتحدث عن هذا الانفعال، وكيف عالج القرآن الكريم آثاره على النفس البشرية في الآخرة.

أولاً: ندم الغافلين عند الموت

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99-100].

المعنى الإجمالي:

قال سيد قطب في هذا السياق: "إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال.."¹، وقال آخرون: "حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین ما ينزل به قال ندمًا على ما فات من عمره، وما فرّط في جنب الله: رب ارجعني إلى الحياة الدنيا، لعلّي أعمل عملاً صالحًا إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلبت، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلو رُدَّ إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسيبقى هؤلاء المتوقّون في حاجز بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه"²، ولهذا جاءت المناسبة موضحة لهذا المعنى فبعد أن كشف الله حال المشركين وما يصفون من الشرك

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص2480.

² جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص348.

والتكذيب، ذكر الله حال الكافرين عند مجيء الموت، فإنهم يتمنون أن يعودوا إلى دار الدنيا ليعملوا صالحاً، لكن لا يسمع لقلوبهم ودعائهم ، والمراد أن الكفار ما يزالون على سوء الحال والاعتقاد إلى الموت¹.

الهدايات المستنبطة من الآيات:

-موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يُمكن منه فيموت بندمه وحسرتة ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة².

-تمني الإنسان الكافر والمؤمن المقصر الرجعة إلى دار الدنيا ليتدارك ما فاته فيها إما من الإيمان أو العمل الصالح، ولا يطلب الرجعة إلا بعد أن يستيقن العذاب³.

الموضع الثاني

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27].

المعنى الإجمالي:

نلاحظ أن الندم في هذا الموضع يدل على: " المشهد المقابل لمشهدهم في الدنيا. . مشهد الاستخذاء والندامة والخزي والحسرة، في مقابل مشهد الإعراض والجدال والنهي والنأي والادعاء العريض، ولو تراهم وقد حبسوا على النار لا يملكون الإعراض والتولي! ولا يملكون الجدل والمغالطة. . . ولرأيتهم يقولون: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهم يعلمون الآن أنها كانت ﴿آيات ربنا﴾، وهم يتمنون لو يردون إلى الدنيا ، وعندئذ فلن يكون منهم تكذيب بهذه الآيات، وعندئذ سيكونون من المؤمنين! ولكنها ليست سوى الأمانى التي لا تكون! على أنهم إنما يجهلون جبلتهم ، فهي جبلة لا تؤمن ، وقولهم هذا عن أنفسهم: إنهم لو ردوا لما كذبوا وكانوا مؤمنين، إنما هو كذب لا يطابق حقيقة ما يكون منهم⁴، فبعد أن ذكر الله تعالى صفة من ينهى عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وينأى عن طاعته ويتعد عنه،

¹ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج18، ص99.

² أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج3، ص538.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج18، ص102.

⁴ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج2، ص1068.

بأنهم يهلكون أنفسهم، ناسب شرح كيفية ذلك الهلاك بهذه الآية، وصدور بعض التمنيات منهم بالعودة إلى الدنيا ليعملوا صالح الأعمال، ولكن الله كذبهم فيما يقولون¹.

الهدايات المستنبطة من الآية:

تتمني الكفار العودة إلى الدار الدنيا لتصحيح العقيدة وإصلاح العمل، وترك التكذيب بآيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته، وصدق رسله، ليكونوا مع صف المؤمنين في الدنيا، وفي حال أحسن من حالهم في الآخرة، ولكنهم يتمنون هذا الشيء ضجرا وقل قا فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا من النار².

الموضع الثالث

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدَكُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 97].

المعنى الإجمالي:

حينما يحين الموعد المعين في علم الله لقيام الساعة وتبدو علائمها التي منها انفتاح يأجوج ومأجوج وزحفهم من كل ناحية أو إلى كل ناحية يكون قد اقترب تحقيق وعد الله ، ولسوف تشخص حينئذ أبصار الكفار ذهولا وهلعا فيأخذون في العويل والندم لأنهم لم يحسبوا حساب هذا اليوم وغفلوا عنه ويعترفون بأنهم كانوا آثمين ظالمين³، "وهو تفجع المفجوء الذي تتكشف له الحقيقة المروعة بغتة فيذهل ويشخص بصره فلا يطرف، ويدعو بالويل والهلاك، ويعترف ويندم، ولكن بعد فوات الأوان"⁴.

الهدايات المستنبطة من الآية:

تقرير حقيقة وهي إذا قُضِيَ بهلاك أمة تعذرت عليها التوبة، وأن أمة يهلكها الله تعالى لا تعود إلى الحياة الدنيا بحال وإن البشرية عائدة إلى ربها فممتنع عدم عودة الناس إلى

¹ ينظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج7، ص172.

² المرجع نفسه، ج7، ص174.

³ دروزة محمد عزت: التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، 1383هـ، ج5، ص290.

⁴ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص2399.

رهم، وذلك لحسابهم وجزائهم يوم القيامة¹.

يُظهر الكافرون الندامة والحسرة في يوم لا ينفعهم فيه ذلك².

ثانياً: ندم المكذبين بيوم البعث

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [الأنعام: 31].

المعنى الإجمالي:

جاء في بيان معنى هذه الآية: خسران الذين كذبوا بقاء الله، وأصروا على هذا التكذيب حتى إذا جاءتهم مَنِيَّتُهُمْ وهي بالنسبة إليهم مبدأ الساعة، ومقدمات القيامة ، مفاجئة لهم من حيث لم يكونوا ينظرونها، ولا يعدون العدة لحيثها ، قالوا: يا حسرتنا على تفریطنا في الحياة الدنيا التي كنا نزعم أن لا حياة بعدها؛ أي: أصروا على التكذيب حتى قالوا وقت مجيء الساعة لهم بغتة: يا ندامتنا على تفریطنا وتقصيرنا في تحصيل الزاد للساعة في الدنيا³ ، وقد جاءت المناسبة مؤكدة لهذا السياق، فلما أفاض جلّ ذكره في إقامة الدلائل والبراهين على قدرته ووحدانيته من أول السورة الكريمة ذكر هنا شهادته تعالى على صدق نبوة محمد عليه السلام ثم ذكر موقف الجاحدين للقرآن المكذبين للوحي، وحسرتهم الشديدة يوم القيامة⁴.

الهدايات المستنبطة من الآية:

حکم الله تعالى بالخسران على من كذب بقاءه فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً⁵،
فيندم الكافر يوم القيامة على تقصيره في طاعة الله ويتمنى لو يعود إلى الحياة الدنيا لاستدراك أعماله السيئة وتعويضها بالعمل الصالح.

-إقرار حقيقة البعث عندما تأخذهم الساعة بغتة، بعد ما كذبوا بقاء الله، فنتنابهم

¹ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج2، ص488.

² محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج9، ص252.

³ محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان، ج8، ص276.

⁴ محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج1، ص355.

⁵ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، ج2، ص52.

الحسرة وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم¹.

ثالثاً: ندم الكافر وتمنيه أن يكون جماداً غير مكلف ولم يكن شيئاً مذكوراً:

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنظَرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: 40].

المعنى الإجمالي:

يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنياً الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت تراباً مثل الحيوانات عندما يُقال لها يوم القيامة: كوني تراباً²، ووجه مناسبة هذه الآية يزيد المعنى وضوحاً، فبعد أن وصف الله تعالى وعيد الكفار ووعد المتقين، ختم الكلام بالإخبار عن عظمته وجلاله وشمول رحمته وعلى التخصيص يوم القيامة، وأردفه ببيان أن هذا اليوم حق لا ريب فيه، وأن الناس فيه فريقان: فريق بعيد من الله، ومصيره إلى النار، وفريق قريب من الله، وتكريمه وثوابه، ومرجعه إلى الجنة، ثم عاد إلى تهديد الكفار المعاندين وتحذيرهم من عاقبة عنادهم وكفرهم³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

تمنى الكافر يوم القيامة أن يكون تراباً أو حيواناً غير مكلف بشيء لما يرى العذاب⁴.

هو تعبير يلقي ظلال الرهبة والندم، حتى ليرتجى الكائن الإنساني أن ينعدم، ويصير إلى عنصر مهمل زهيد، ويرى هذا أهون من مواجهة الموقف الرعيب الشديد، وهو الموقف الذي يقابل تساؤل المتسائلين وشك المتشككين في ذلك النبا العظيم⁵.

¹ ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج2، ص1068.

² جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص583.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج30، ص26.

⁴ المصدر نفسه، ج30، ص29.

⁵ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3809.

رابعاً: تمنى الكافر الموت الذي لا حياة بعده

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْتَمِتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: 27].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في هذا الموضع: "يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها والقاطعة للحياة، فلم أحي بعدها، و"القاضية" موت لا حياة بعده يتمنى أنه لم يبعث للحساب"¹، ومنهم من قال: "وأين المفر؟ إنه لا مفر إلا بالموت، ولكنها أمنية لن تتحقق أبداً، فما أقسى الصبر على هذا البلاء، وما أشد الوقوع في هذه المحنة التي يشتهى الموت فراراً منها"²، والمناسبة تؤكد هذا المعنى فبعد بيان حال السعداء في معاشهم وسكناهم في الجنة، بيّن الله تعالى للموازنة والمقارنة والعبرة حال الأشقياء الكفار في الآخرة، و ندمهم عند تعرضهم لألوان العذاب في نار جهنم³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

تمنّى الكافر الموت مع أنه لم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه⁴.

تمنّى الكافر دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير إليه⁵، كي

يهرب من عذاب الآخرة ولكن لا مفر من مواجهة محاسبته على ما قدم من عمل.

¹ البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4، (1417هـ-1997م)، ج8، ص212.

² عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج15، ص1143.

³ ينظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج29، ص98.

⁴ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، (1420هـ-1999م)، ج8، ص231.

⁵ محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان، ج30، ص164.

خامساً: ندم متبعي الشيطان يوم البعث

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22].
المعنى الإجمالي:

جاء في تصوير ندم متبعي الشيطان قوله لهم: " لا تلوموني على ما حصل لكم من الضلال، ولوموا أنفسكم، فهي أولى باللوم، ما أنا بمغيثكم بدفع العذاب عنكم، وما أنتم بمغيثي بدفعه عني، إني كفرت بجعلكم إياي شريكاً لله في العبادة، إن الظالمين بالشرك بالله في الدنيا والكفر به لهم عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة"¹، فبعد أن ذكر الله تعالى ألوان عذاب الكفار في الآخرة، ثم ذكر عقبيه أن أعمالهم تصير محبطة باطلة، ذكر هنا مدى خجلهم أمام أتباعهم وافتضحهم عندهم، وأبان هذا بصورة محاورة بين السادة والأتباع، ومناظرة بين الشيطان وأتباعه الإنس، ثم ذكر جزاء المؤمنين السعداء وظفرهم بجنان الخلد².

الهدايات المستنبطة من الآتي:

-بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله تعالى³.
-عند تبرا ل شيطان من متبعيه يوم القيامة⁴، وعند رؤيتهم للعذاب ي ستيقظ شعورهم المتبلد ويندمون على عدم إتباعهم لطريق الله ورسوله ولكن بعد فوات الأوان.

¹ جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن، ص 258.

² وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 13، ص 235-236.

³ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج 3، ص 54.

⁴ ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 4، ص 2097.

سادسا: ندامة الكفار عند رؤية العذاب

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: 54].

المعنى الإجمالي:

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها أسفا على ما فعلوا من الظلم¹، إسرار الشيء إخفاؤه وكتمانه، وإسرار الحديث والكلام خفض الصوت به، فهو ضد إعلانه والجهر به، ومنه ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: 13]، والندم والندامة ما يجده الإنسان في نفسه من الألم والحسرة عقب كل فعل يظهر له ضرره، وقد يجهر به بالكلام كقوله: ﴿بِحَسْرَتِنَا عَلَىٰ مَا فَرَقْتُ﴾ [الزمر: 56]، أو بالتوبة والاستغفار، وقد يخفيه ويكتمه لعدم الفائدة من إعلانه أو اتقاء للشماتة أو الإهانة به، أي وأسر أولئك الذين ظلموا ندامتهم وحسرتهم فيما بينهم وبين ربهم أو كتموها في قلوبهم ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أي رأوا مباديه عيانا بأبصارهم لما برزت الجحيم وأيقنوا أنهم مواقعوها لا مصرف لهم عنها²، وقد جاءت المناسبة موضحة لهذا المعنى فبعد أن أبان الله تعالى خسارة المشركين المكذبين بالبعث الذين لم يهتدوا إلى وجوه الخير والصلاح، وأنهم سيعذبون، أوضح أن بعض هذا العذاب سيكون في الدنيا، وبعضه في الآخرة، وهو تنبيه على أن عقاب المذنبين مذمومة قبيحة جدا³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

لحو أن كل ما في الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود،
لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعاين هوله، وحينئذ

¹ محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ، ج 6، ص 34.

² محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، ج 11، ص 326.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 11، ص 192.

يتردد الندم والحسرة في سرائرهم لعجزهم عن النطق به¹.
في الآية زيادة تحسير وتنديم للنفس الظالمة حيث أخبرت بأن ما تود أن تفتدي
به ليس لها منه شيء ولا تقدر على التوصل إليه، ولو قدرت ما قبل منها².

الموضع الثاني

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَٰكِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 46].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في تفسير هذه الآية: "لئن مسّ أو أصاب هؤلاء المكذبين شيء من عذاب الله يوم القيامة، ليبادر ون إلى الاعتراف بذنوبهم، ويقولون: يا هلاكنا، إنا ظلمنا أنفسنا في الدنيا، بتقصيرنا في الطاعة، وإعراضنا عن الإيمان الحق بالله تعالى، وبعبارة أخرى: ولئن مسّ هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم، ليندمنّ وليقرنّ بظلمهم ، وفي هذا إشارة إلى شدة عذاب الله"³، وقال سيد قطب: "والنفحة تطلق غالباً في الرحمة، ولكنها هنا تطلق في العذاب، كأنما يقال: إن أحف مسة من عذاب ربك تطلقهم يجأرون بالاعتراف، ولكن حيث لا يجدي الاعتراف... فهو الاعتراف بعد فوات الأوان ، ولخير منه أن يسمعوا نذير الوحي وفي الوقت متسع، قبل أن تمسهم نفحة من العذاب"⁴، فلا بينّ تعالى ما افتتحت به السورة من اقتراب الساعة بالقدرة عليه واقتضاء الحكمة له، وأن كل أحد ميت لا يستطيع شيئاً من الدفع عن نفسه فضلاً عن غيره، ختمت الآيات بإقرار الظالم بظلمه⁵.

الهدايات المستنبطة من الآية:

-نفع الإقرار بالذنب مشروط بمصاحبة التوبة قبل فوات أوانها⁶.

¹ لجنة من علماء الأزهر: تفسير المنتخب، ج1، ص341.

² البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج9، ص149.

³ وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ، ج2، ص1586.

⁴ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص2381.

⁵ ينظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص428.

⁶ جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص326.

بيان ضعف الإنسان وأن أدنى عذاب ينزل به لا يتحمل ويصيح داعياً ياهلاكاه¹، وهذا ما يدعوه إلى الإسراع للتوبة في الدنيا والاستقامة قبل فوات الأوان.

سادسا: ندم الكفار على عدم طاعة الله والرسول

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: 66].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في وصف مشهد ندم الكفار في هذا السياق: "حين تقلب وجوههم في النار من جانب إلى جانب آخر، كما يقلب اللحم فوق النار، وحينئذ يقولون متحسرين: يا ليتنا أطعنا الله ورسوله فيما جاءنا به في حياتنا الدنيا، من دعوة إلى الله، وتحذير من عذابه، ولو أننا أطعنا الله ورسوله لما كنا اليوم نتقلب في نار جهنم، ولا نجد لنا من ينقذنا من بأس الله، ولا من يجيرنا من عذابه"²، وجاء في وصف أوضح: "النار تغشاهم من كل جهة، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها، والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، وهي أمنية ضائعة، لا موضع لها ولا استجابة، فقد فات الأوان، إنما هي الحسرة على ما كان! ثم تنطلق من نفوسهم النقمة على سادتهم وكبرائهم، الذين أضلوهم، وبالإنابة إلى الله وحده، حيث لا تنفع الإنابة"³، ولهذا كانت المناسبة موضحة لهذا السياق ف بعد بيان حال الفئات الثلاث في الدنيا (المشركين الذين يؤذون الله ورسوله، والمجاهرين الذين يؤذون المؤمنين، والمنافقين الذين يظهرون الحق ويضمرون الباطل) وأنهم يلعنون ويهانون ويقتلون، ذكر حالهم في الآخرة، فتوعدهم بقرب يوم القيامة، وبين نوع عذابهم فيه⁴.

الهدايات المستنبطة من الآية:

إعلان الكفار سبب انحراف اعتقادهم، بالتشكي من رؤسائهم وقادتهم الذين

¹ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج3، ص418.

² أسعد حومد: أيسر التفاسير، ص3480.

³ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص2883.

⁴ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ج22، ص115.

أضلّوهم¹، ويندمون على تضييعهم لفرص الطاعة في الدنيا، ندمٌ تصحبه الحسرات والآلام المستمرة بسبب ما وقعوا فيه من ظن بأن سادتهم وقادتهم سوف يشفعون لهم يوم القيامة.

الفرع الثاني: ندم المنافقين

ذكر القرآن الكريم انفعال الندم عند المنافقين، في مشاهد وسياقات مختلفة، سنعرض منها ما يأتي، ونبيّن أثر هذا الانفعال في نفوسهم، وغير ذلك.

أولاً: حسرة المنافقين والمنافقات يوم القيامة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13].

المعنى الإجمالي:

أي في هذا اليوم يقول المنافقون والمنافقات: أيها الذين نجوتم بإيمانكم بربكم وفزتم برضوانه حتى دخلتم فسيح جناته، انتظروا نلحق بكم ونقتبس من نوركم حتى نخرج من ذلك الظلام الدامس، والعذاب الأليم الذي نحن مقبلون عليه، فيجابون بما يجيب آماهم ويلحق بهم الحسرة والندامة ارجعوا من حيث أتيتم، واطلبوا لأنفسكم هناك نورا، فإنه لا سبيل إلى الاقتباس من نورنا الذي كان بما قدمنا لأنفسنا وادّخرنا لها من عمل صالح، فأيهات أيهات أن تنالوا نورا، إذ لا ينفع المرء حينئذ إلا عمله²، وقد جاءت المناسبة مؤكدة لهذا المعنى فبعد أن بيّن الله تعالى حال المؤمنين المنافقين يوم القيامة، وأن نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ليرشدهم إلى الجنة، فهو أمانة النجاة، بيّن حال المنافقين في ذلك اليوم، وأنهم يلتمسون عون المؤمنين لهم، فيجابون بالخيبة واليأس، وألا أمل لهم في النجاة، وأن النار هي مأواهم وأولى بهم، وذلك يدل على أنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم إيمانا حقا، وعمل بما أمر الله به، وترك ما عنه زجر³.

¹ ينظر: وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط، ج3، ص 2090.

² أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، (1365هـ-1946م)، ج27، ص170.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج27، ص309.

الهدايات المستتبطة من الآية:

ندم المنافقين يوم القيامة واستنجادهم بالمؤمنين الذين نجوا من العذاب، طالبين منهم انتظارهم أو إمهالهم وتأخيرهم ليأخذوهم معهم، والاستضاءة بنورهم، ويعتقدون أنهم سينجون من العذاب كما نجوا في الدنيا ولكن لن ينفهم طلبهم، فهذه الآية جاءت لتذكير المنافقين بما كان فيهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام¹.

ومن خلال مشاهد الندم عند الكفار والمنافقين، نستخلص مجموعة من النتائج، مفادها أن الكفار والمنافقين يندمون أشد الندم يوم القيامة على ما فاتهم من طاعة الله، ولكن لا ينفع الندم والحسرة بعد فوات الأوان.

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3486.

المطلب الثاني: مظاهر الندم في الآخرة

من مظاهر الندم في الآخرة الدعاء بالويل والثبور وهو دعاء يردده الكفار والمنافقون عندما يرون من ألوان العذاب وأشكاله، وهو ليس بنافعهم يوم لا ينفع الندم، وفي هذا المطلب سندرس من هذه المظاهر.

الفرع الأول: الدعاء بالويل والثبور والهلاك

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: 13].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في بيان معنى هذه الآية: "فإذا ألقوا فيها في مكان ضيق مكتفين، أي قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والسلاسل، صاحوا واستغاثوا"¹، "ودعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة وعلموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم ولا مغنية من عذاب الله"²، وجاء في مناسبة هذه الآية أنه بعد أن وصف الله حال الكفار، وهم في بعد من جهنم، وصف حالهم عند إلقاءهم فيها³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

- وصف النار مما يفتت الأكباد، ويقطع القلوب حسرة وندامة على أصحابها⁴.
- دعوة الكفار على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم ولا مغنية من عذاب الله⁵.

¹ وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص30.

² عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص579.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص30.

⁴ الحجازي، محمد محمود: التفسير الواضح، دار الجليل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ، ج2، ص713.

⁵ ينظر: عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص579.

الآية الثانية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَا تَوَلَّى هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الصفات: 20].

المعنى الإجمالي:

قال المنكرون للبعث في الدنيا، حين رأوا العذاب لنا: الويل والهلاك، فقد حل ميعاد الجزاء، وسنجازى بما قدمنا من عمل، كما وعدنا بذلك على ألسنة الرسل، فكذبناهم، وسخرنا منهم، وأنكرنا صدق ما قالوا¹، وقد جاءت الآية معقبة على الأمر الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم الذي احتوته الآية الأخيرة من الآيات السابقة كما هو المتبادر، وقد احتوت حكاية ما سوف يكون من أمرهم حينما يأتي وعد الله، فليست إلا صرخة واحدة فإذا هم أحياء ينظرون إلى ما حولهم نظرة الرعب ويقولون يا ويلنا هذا يوم الجزاء فيقال لهم هذا يوم القضاء الذي كنتم تكذبون به².

الهدايات المستنبطة من الآية:

- دعاء الكفار بالويل والهلاك على أنفسهم لما عاينوا يوم البعث الذي كانوا به يكذبون³، والإسراع إلى إعلان توبتهم بعد فوات الأوان ولكن لا مفر يوم القيامة من مواجهة العذاب.

- إخبار الله تعالى عن الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا⁴.

¹ محمد الأمين الشافعي: حقائق الروح والريحان، ج 24، ص 154.

² دروزة محمد عزت: التفسير الحديث، ج 4، ص 210.

³ ينظر: عبد الكريم القشيري: لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 3، ج 3، ص 230.

⁴ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 8.

الفرع الثاني: التعبيرات الجسدية

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْدًا﴾ [الفرقان: 27].

المعنى الإجمالي:

أي واذكر أيها الرسول يوم القيامة الذي يعض المشرك وكل ظالم على يديه ندما وحسرة وأسفا على ما فرط في حياته، وعلى إعراضه عن طريق الحق والهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول صلى الله عليه وسلم طريقا إلى النجاة والسلامة¹، قال أبو السعود: "عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايةات عن الغيظ والحسرة"²، "ويصمت كل شيء من حوله ويروح يمد في صوته المتحسر، ونبراته الأسيفة والإيقاع الممدود يزيد الموقف طولا ويزيد أثره عمقا، حتى ليكاد القارئ للآيات والسامع يشاركان في الندم والأسف والأسى! ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾، فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانیه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين، وهي حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسيما"³، وقد جاءت المناسبة مؤكدة لهذا المعنى فبعد بيان طلب المشركين إنزال الملائكة، أخبر الله تعالى عن هول يوم القيامة وعن نزول الملائكة حينئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، فيعض الظالم على يديه ألما وحسرة على ما فات، ويتمنى أن لو كان أطاع الرسول فيما أمر ونهى⁴.

¹ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 19، ص 52.

² أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العلمي، بيروت، ج 6، ص 213.

³ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 5، ص 2560.

⁴ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 19، ص 52.

الهدايات المستنبطة من الآية:

-ندم الظالم وتحسره على ما فاته من الإيمان والطاعة لله ورسوله¹، ومن قوة ندمه وحسرتة يعرض على يديه لعدم إتباعه الرسول وإيثاره أهل الضلال²، فيوم القيامة لا ينفع الناس لا صاحب ولا خليل، تنفعه إلا أعماله الصالحة.

الفرع الثالث: البراءة من الأصحاب

حسرة من اتخذ أصحاب السوء في الدنيا

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَوَلَّى لِيَتَنَّى لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيًا﴾ [الفرقان: 28].

المعنى الإجمالي:

أي يا هلاكي احضر فهذا أوانك، ليتني لم أتخذ فلانا الذي أضلني خليلًا أي صديقًا حميمًا، أرداني أتباعه، وصرفني عن الهدى، وعدل بي إلى طريق الضلال³، وقوله فلانا بهذا التجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله⁴، فلما بيّن سبحانه في سابق الآيات أن المشركين طلبوا إنزال الملائكة. . أردف هذا بيان أنهم ينزلون حين ينتهي في هذا العالم الدنيوي، ويختل نظام الأفلاك والأرض والسموات، ويحشر الناس من قبورهم للعرض والحساب، فيعرض الكافر على يديه نادماً على ما فات، ويتمنى أن لو كان قد أطاع الرسول فيما أمر ونهى، ولم يكن قد أطاع شياطين الإنس والجن الذين أضلوه السبيل، وخذلوه عن الوصول إلى محجة الصواب⁵.

الهدايات المستنبطة من الآية:

-الخليل الصاحب قد يضل صاحبه عن ذكر الله والإيمان به والقرآن وموعظة

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁶.

¹ ينظر: أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج3، ص611.

² مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث العلمية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، (1393هـ-1973م)، (1414هـ-1993م)، ج6، ص1477.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، ج19، ص52.

⁴ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص2560.

⁵ محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان، ج20، ص11.

⁶ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، ج19، ص54.

هذه الآية وإن كان موضوعها في اليوم الآخر، يشير إلى سبب الفساد بين الناس في دار الابتلاء، والسبب يتلخص في أمرين ، أولهما: صحبة السوء، فإن صاحب السوء أخو الشيطان يسهل للشيطان سبيله، ثانيهما: الرأي الفاسد، فإنه يكثر فيه خلان السوء ودعاة الشر، والتخذيل عن الخير¹.

الفرع الرابع: التمني والترجي

أولاً: ندم المقلدين لغيرهم وتمنيهم البراءة من رؤسائهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَكَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرًا مِّمَّنْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 167].

المعنى الإجمالي:

أخبر تعالى أنه لو يرى المشركون عند معاينتهم العذاب يوم القيامة لرأوا أمراً فظيماً يعجز الوصف عنه، ولعلموا أن القوة لله وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ المتبعون وهم الرؤساء الظلمة دعاة الشرك والضلالة من متبوعيهم الجهلة المقلدين وعانوا العذاب أمامهم وتقطعت تلك الروابط التي كانت تربط بينهم، وتمنى التابعون العودة إلى الحياة الدنيا لينتقموا من رؤسائهم في الضلالة فيتبرءوا منهم في الدنيا كما تبرءوا منهم في الآخرة، وكما أراهم الله تعالى العذاب فعانوه، يريهم أعمالهم القبيحة من الشرك والمعاصي فتعظم حسرتهم ويشتد كربهم ويدخلون بها النار فلا يخرجونهم منها أبداً²، " إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين"³، ويحتل في وجه المناسبة، أن يكون الحق تعالى لما ذكر دلائل التوحيد ذكر من أعرض بعد وضوحها فأشرك معه، ليرتب بعد ذلك ما أعد له من العذاب⁴.

¹ أبو زهرة: زهرة التفاسير، ج 10، ص 5272.

² أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج 1، ص 143.

³ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 1، ص 154.

⁴ ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت،

1419هـ، ص 129.

الهدايات المستتبطة من الآية:

تبرؤ رؤساء الشرك والضلال ودعاة الشر والفساد ممن أطاعوهم في الدنيا واتبعوهم على الظلم والشر والفساد، وليس بنافعهم ذلك شيئاً¹.

لن ينفع المقلدين ندمهم على ما سبق من أعمالهم السيئة، ولن يجدي هذا الندم في إخراجهم من النار².

ثانياً: حسرة من أفنى وقته في شهوات الدنيا

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 24].

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في بيان معنى هذه الآية: " يقول نادماً: يا ليتني قدّمت في الدنيا أعمالاً صالحةً تنفعني لحياتي الآخرة "3، "يا ليتني، أمنية فيها الحسرة الظاهرة، وهي أقسى ما يملكه الإنسان في الآخرة"4.

الهدايات المستتبطة من الآية:

بيان اشتداد حسرة المفرطين في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله يوم القيامة⁵، وتمنيهم

العودة إلى الدار الدنيا للتكفير عن أعمالهم الشنيعة ولكن لا ينفعهم ندمهم يوم لا ينفع الندم.

¹ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص143.

² ينظر: محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص171.

³ مجموعة من العلماء: تفسير المنتخب، ج3، ص77.

⁴ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3906.

⁵ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج5، ص571.

ثالثاً: حسرة من ضيع ماله في الدنيا ولم ينفق منه في سبيل الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10].
المعنى الإجمالي:

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ مبادرين الأجل فإنكم لا تدرون متى تموتون ، من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول متمنياً طالباً حاثاً في طلبه يا رب لولا أخرتني إلى أجل قريب أي إلى وقت قريب من هذا فأصدق بمالي، وأكن من الصالحين فأحج وأتقرب إليك يا رب بما تحب من أنواع القربات والطاعات ولكن لا ينفعه التمني ولا الطلب والدعاء، لأن حكم الله الأزلي أنه تعالى لن يؤخر نفساً أي نفس إذا جاء أجلها أي إذا حضر وقت وفاتها¹، قال سيد قطب: "فيترك كل شيء وراءه لغيره وينظر فلا يجد أنه قدم شيئاً لنفسه، وهذا أحق الحمق وأخسر الخسران، ثم يرجو حينئذ ويتمنى أن لو كان قد أمهل ليتصدق وليكون من الصالحين"²، فبعد بيان خصال المنافقين وذمهم وتوبيخهم عليها، حذر الله المؤمنين من أخلاق المنافقين، ثم أمرهم أن ينفقوا بعض أموالهم في مجالات الخير، ولا يؤخروا ذلك حتى يداهمهم الموت، فيندموا ويطلبوا إطالة العمر حتى يتداركوا ما فاتهم من خير³.

الهدايا المستنبطة من الآية:

- كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة، ولو شيئاً يسيراً ليستدرك ما فات، ولكن فات الأوان⁴.

رابعاً: حسرة من جانب طريق الهداية والتقوى

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 57-58].

¹ ينظر: أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج5، ص359.

² سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3580.

³ وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج28، ص229.

⁴ المصدر نفسه، ج28، ص230.

المعنى الإجمالي:

قال المفسرون في بيان معنى هذه الآية: " يقول الكافر والفاجر لو أن الله هداني لاهتديت إلى الحق، وأطعت الله، وكنت من عباده الصالحين و تقول تلك النفس الفاجرة حين مشاهدتها العذاب لو أن لي رجعة إلى الدنيا لأعمل بطاعة الله، وأحسن سيرتي وعملي¹، " أو تقول إن الله كتب عليّ الضلال ولو كتب عليّ الهدى لاهتديت واتقيت ، وهي أمنية لا تنال ، فإذا انتهت هذه الحياة فلا كرة ولا رجوع²، وقد جاءت المناسبة مؤكدة لهذا السياق، فلما ذكر تعالى أحوال الفجرة المشركين، وذكر ما يكونون عليه في الآخرة من الذل والهوان، دعا المؤمنين إلى الإنابة والتوبة قبل فوات الأوان³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

وجوب تعجيل التوبة والمبادرة بها قبل حلول العذاب في الدنيا أو الموت والموت أدهى وأمر حيث لا تقبل توبة بعد الموت أبداً⁴.
حذر الله تعالى من التعلل بالأمني والتحسر على الماضي في وقت لا ينفع فيه ذلك⁵.

خامساً: ندم الكافر عند رؤية صحيفته يوم القيامة

الموضع الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِي﴾ [الحاقة: 25].

المعنى الإجمالي:

بيّن تعالى أنه لما نظر الكافر في كتابه وتذكر قبائح أفعاله خجل منها وصار العذاب الحاصل من تلك الخجالة أزيد من عذاب النار، فقال: ليتهم عذبوني بالنار، وما عرضوا هذا الكتاب الذي ذكرني قبائح أفعالي حتى لا أقع في هذه الخجالة، وهذا ينبهك على أن العذاب

¹ محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص78.

² سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3059.

³ محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص79.

⁴ أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج4، ص502.

⁵ الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج24، ص39.

الروحاني أشد من العذاب الجسماني¹، وقد وُصِفَ هذا المشهد بـ "مشهد الهالك الآخذ كتابه بشماله، والحسرة تمن في كلماته ونبراته وإيقاعاته"²، وقد جاء في مناسبة هذه الآية أنه لما كانت العادة جارية بأن أهل العرض ينقسمون إلى قسمين: مقبول ومردود، وذكر سبحانه وتعالى المقبول بادئاً به تشويقاً إلى حاله وتغيباً بعاقبته وحسن مآله، أتبعه المردود تنفيراً عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله³.

الهدايات المستنبطة من الآية:

مقابلة العذاب النفسي بتعمي عدم تلقي الكتاب، وبين الشعور بالعذاب الجسدي، حين تمّي الموت⁴، وما للكفار من المهانة والعذاب جزاء كفرهم.

الموضع الثاني

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

المعنى الإجمالي:

ووضع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فتبصر العصاة خائفين مما فيه بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون حين يعاينونه: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة من أفعالنا ولا كبيرة إلا أثبتها؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا، ولا يظلم ربك أحدًا مثقال ذرة، فلا يُنْقَصُ طائع من ثوابه، ولا يُزَادُ عاص في عقابه⁵، وقد أضاف سيد قطب: "هذا هو سجل أعمالهم يوضع أمامهم، وهم يتملونه ويراجعون، فإذا هو شامل دقيق، وهم خائفون من العاقبة ضيقو الصدور بهذا الكتاب الذي لا يترك شاردة ولا واردة، ولا تند عنه كبيرة ولا صغيرة: ﴿فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

¹ فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج30، ص630.

² سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3676.

³ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج20، ص366.

⁴ وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط، ج3، ص2727.

⁵ نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، السعودية، ط2، (1430هـ-2009م)، ج1، ص299.

أَحْصَنَهَا ﴿ وهي قوله المحسور المغيظ الخائف المتوقع لأسوأ العواقب، وقد ضبط مكشوفاً لا يملك تفلتاً ولا هرباً، ولا مغالطة ولا مداورة¹، فبعد أن أبان سبحانه أن الدنيا ظل زائل، وأنه لا ينبغي أن يغتر أحد بزخرفها ونعيمها، بل يجب أن يكون موضع التفاخر العمل الصالح الذي فيه رضا الله وانتظار مثوبته في جنات تجري من تحتها الأنهار أردف ذلك ذكر أحوال يوم القيامة وما يكون فيها من أخطار وأهوال، ويوضع كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير في يد صاحب اليمين والشمال، فترى المجرمين جميعاً نادمين على ما فيه من قبائح أعمالهم، وسريء أفعالهم وأقوالهم، وظهور ذلك لأهل الموقف، خائفين من عقاب الحق، والفضيحة عند الخلق².

الهدايا المستتبطة من الآية:

مبدأ الثواب والعقاب مما يقتضيه العدل الإلهي، وعدم الظلم حتى يعطى المحسن جزاءه كاملاً، ويأخذ المسيء جزاءه غير ناقص³.

وفي نهاية هذا المطلب يتبين أن الكفار والمنافقين عند معاينتهم للعذاب يتحسرون على أعمالهم في الدنيا، ويرجعون على أنفسهم بالملامة والدعاء بالويل والثبور والهلاك، ويعضون على أيديهم ألماً وحسرة على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله، ويتمنون أن لو أطاعوا الرسول، ولم يطيعوا شياطين الإنس والجن الذين أضلوهم السبيل، ولن أن لهم فرصة ليرجعوا للحياة الدنيا ليكفروا عن أخطائهم، ولكن لا ينفعهم ندمهم يوم القيامة، ولن يجديهم في إخراجهم من النار.

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص2274.

² ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج15، ص156-158.

³ الحجازي، محمد محمود: التفسير الواضح، ج2، ص421.

المطلب الثالث: آثار الندم في الآخرة

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الدنيا دار عمل، وأمر الناس بالاستقامة والصلاح

فيها، وأرسل إليهم الرسل للهداية، فقد جعل الحياة على الأرض مرحلة يعيشها الإنسان للابتلاء والعمل، وتنتهي فترة الابتلاء والعمل بانتهاء حياة الناس على الأرض بالموت، فتقطع أعمالهم من الدنيا، تمهيدا ليوم الحساب الذي يُثيب الله فيه المحسنين، ويعاقب فيه الكافرين، أما الكافر فيعلم أنه قصر في حياته، ولم يقدم من الطاعات ما ينجيه في هذا اليوم، فيتمنى الرجعة إلى الدنيا ليتدارك ما فاتته، ولكن لا سبيل إلى الرجوع¹.

فعندما يرى الكفار النار يندمون أشد الندم، وعندما يطلع الكافر على صحيفة أعماله،

فيرى كفره وشركه الذي يؤهله للخلود في النار فإنه يدعو بالثبور والهلاك، ويتكرر دعاؤهم بالويل والهلاك عندما يُلقون في النار، ويصلون حرها، ويدعون رهم آملين أن يخرجهم من النار، وهم يعترفون في ذلك الوقت بضلالتهم وكفرهم وقلة عقولهم².

ويخبر الله تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق رسول الله وما جاء به من عند الله من

الحق المبين الذي لا مرية فيه فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه

حسرة وأسفا. . . وكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ويعض على يديه قائلاً: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ

الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا﴾ [الفرقان: 27]³.

جاء في حديث عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ

الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ

وَأِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَأِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَأِمَّا أَنْ

تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»⁴، وقيل الصاحب ساحب، إما أن يسحبك إلى الجنة أو يسحبك إلى النار

وعض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان كناية عن الغيظ والحسرة حيث تعرض

¹ ينظر: هالامقبل: الحوار في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم، دار الجنان، 2015، ص59،

² ينظر: عمر سليمان: الأشقر اليوم الآخر الجنة والنار، دار النفائس، الأردن، ط7، (1418هـ-1998م)، ص106-107.

³ أسامة نعيم مصطفى: علامات الساعة الكبرى وأحوال يوم القيامة، دار عالم، ص80.

⁴ أخرجه: مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قراء السوء، رقم: (2628/146)، ج4، ص206.

الآية مشهدا من مشاهد يوم القيامة، يُصوّر ندم الظالمين الضالين، يعرضه عرضا طويلا مديدا، يُجَيِّلُ للسامع أنه لن ينتهي ولن يبرح.¹

قال ابن القيم الجوزية في تصويره لمشهد الكفار والمنافقين يوم القيامة: " ذهب اللذات وأعقت الحسرات، وانقضت الشهوات، وأورثت الشقوات، وتمتعوا قليلا، وعذبوا طويلا، رتعا ومرتعا وخيما فأعقبتهم عذابا أليما، أسكرتهم خمرة تلك الشهوات، فما استفاقوا منها إلا في ديار المعذبين، وأرقدتهم تلك الغفلة، فما استيقظوا منها إلا وهم في منازل الهالكين، فندموا والله أشد الندامة حين لا ينفع الندم، وبكوا على ما أسلفوه بدل الدموع بالدم، فلو رأيت الأعلى والأسفل من هذه الطائفة، والنار تخرج من منافذ وجوههم وأبدانهم وهم بين أطباق الجحيم، وهم يشربون بدل لذيذ الشراب كئوس الحميم، ويقال لهم وهم على وجوههم يُسحبون:

﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: 16]².

ويتوجه أهل النار بعد ذلك بالنداء إلى خزنة النار، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم شيئا مما يعانوه، وعند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم، إنه الرفض لكل ما يطلبون، لا خروج من النار، ولا تخفيف من عذابها، ولا إهلاك، بل هو العذاب الأبدي السرمدي الدائم، هناك يشتد نجيبهم، وتفيض دموعهم، ويطول بكاءهم، إنهم سيكون حتى تنقطع الدموع، ثم سيكون دما، وتؤثر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر، وتأمل قوله تعالى يصف حالهم، ونعوذ بالله من حالهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: 106]³.

وتتوالى الحسرات للكفار والمنافقين يوم القيامة يوم لا تنفع حسرات ولا تأوهات ولا زفرات، يوم لا ينفع فيه إلا العمل الصالح.

¹ عامر عبد الحميد قرمش: لا تظلم، دار المعتز، ص 346.

² ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، ج 2، ص 210-211.

³ ينظر: عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر الجنة والنار، ص 107-109.

العلماء

الخاتمة

الحمد لله الذي فضله تتم الصالحات، وبنعمته تتم الخيرات، وبشكره تزداد البركات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبوات والرسالات وعلى آله وصحبه أجمعين:
وبعد: ففي ختام هذه الدراسة الموضوعية في رحاب الآيات الكريمة حول الندم، نذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها خلال هذه الدراسة:

أهم النتائج المتحصل عليها:

- الندم هو شعور يعتري الإنسان على أمر فعله ثم تَمَّتْ كونه لو لم يفعل، فتغمره مشاعر الندامة والحزن والأسف والحسرة.
- هناك مراتب للندم، ففي الدرجة الأولى يأتي الندم، ثم أشد منه الحسرة، ثم أشد من الأسف، ثم التوبة وهي عبارة على محصلة الندم.
- ينقسم انفعال الندم إلى قسمين: ندم في الدنيا وهو الندم المحمود، وندم في الآخرة وهو الندم المذموم.
- الناظر في حال الأنبياء عليهم السلام، يجد شعورهم بالذنب والتحسر والحزن واعتراهم بالخطأ، فهذه الانفعالات دليل على عظمة نفوسهم، وصبرهم، فالندم طريق للخروج من المصائب والهجوم، والنجاة من الغم.
- إن الندم إذا لم يكن لكبير المعصية والحسرة والخوف من عذاب الله لم يكن توبق وما يتبعه من الأعمال الصالحة بعده والإخلاص فيها إلى الله.
- للندم آثار في حياة الإنسان، فلها أثره في الماضي فندم وحسرة وحزن بسبب فعل المعصية، وأما أثره في الحاضر فإقلاع عن المعصية، وأما أثره في المستقبل فعزيمة صادقة على عدم العودة إلى الذنب حتى الممات.
- يوم القيامة يكون الناس على صنفين: خوف للكافر ورجاء للمؤمن.
- الكفار والمنافقون يعضون على أيديهم ألماً وحسرة على ما فاتهم من الإيمان والطاعة ويتمنون لو أن لهم فرصة للرجوع إلى الحياة الدنيا ويغيرون ما كانوا عليه.
- للندم أثر على الكفار والمنافقين يوم القيامة نتيجة تقصيرهم وذلك بتهمهم وازدراءهم وتمنيهم

العودة إلى الحياة الدنيا كي يهربوا من عذاب الآخرة ولكن لا مفر من مواجهة الحساب يوم لا ينفع الندم.

أهم التوصيات:

رغم ما بذلنا من جهد فإننا لم نعط البحث حقه بل لا زالت كثير من المسائل المهمة فيه لم نتطرق إليها نحن:

- لذا نوصي كل من له رغبة في مجال البحث العلمي في العلوم الإسلامية أن يواصل في هذا الموضوع المهم لما له من آثار مهمة على النفس البشرية في الدنيا والآخرة.
- ونوصي أيضا باهتمام الباحثين بالدراسات الموضوعية بالقرآن الكريم عموما وإعطائها أهمية قصوى لكونها تعالج قضايا واقع المسلمين.

وفي الختام نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن، فإن كان فيه خلل أو نقصان فهذا طبع البشر، وأعمال البشرية لا تخلو من خطأ أو نقصان، وإن كان فيه شيء من الجدة والإجادة فهذا توفيق من الله وحده، ونسأل الله العظيم أن يغفر لنا ما أخطأنا فيه إنه غفور رحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

1. فهرس الآيات القرآنية

2. فهرس الأحاديث

3. قائمة المصادر والمراجع

4. فهرس المحتويات

1 . فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
البقرة		
167	66	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَاكُرُنَّ ﴾
		آل عمران
89	34	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾
156	11	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
المائدة		
30	28	﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾
31	28-8	﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾
الأنعام		
27	51	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾
31	53	﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾
الأعراف		
23	22	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾
150	24	﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾
151	24	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي ﴾
194	30	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
التوبة		
102	40	﴿ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾
110	45	﴿ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ أَلْدَىٰ بُنْوًا ﴾
118	40-18	﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾

يونس		
57	54	﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾
41	90	﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾
41	91	﴿ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾
هود		
26	45	﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾
26	46	﴿قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾
26	47	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾
42	65	﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾
73	106	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾
يوسف		
31	97	﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾
إبراهيم		
56	22	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾
الكهف		
12	6	﴿فَلَمَّا كَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾
43-8	42	﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ﴾
70	49	﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾
الأنبياء		
58	46	﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْمُهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ﴾
27	87	﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾
27	88	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾
52	97	﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ﴾
المؤمنون		

8	40	﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾
50	99	﴿ حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾
50	100	﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾
الفرقان		
62	13	﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِقًا ﴾
72-64-20	27	﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾
65	28	﴿ يَتَوَلَّى لَيَتَى لَرَأَى أَنَّهُ أَخَذَ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾
35-19	70	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾
35	71	﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾
الشعراء		
42	157	﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَدِيمِينَ ﴾
42	158	﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾
القصص		
36	67	﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾
الأحزاب		
59	66	﴿ يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ ﴾
الصفات		
63	20	﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾
الزمر		
37-34	53	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾
37	54	﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُمْ ﴾
37	55	﴿ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
57-37-16	56	﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي ﴾
68	57	﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾

68	58	﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ﴾
غافر		
9	3	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾
الشورى		
38	25	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾
38	26	﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
الزخرف		
12-11	55	﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾
الحجرات		
8	6	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾
الطور		
73	16	﴿قُلْ اَتَعْلَمُونَ اِلَهَ اِيْدِينِكُمْ﴾
الحديد		
60	13	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالْمُنٰفِقَاتُ﴾
المنافقون		
68	10	﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾
الملك		
57	13	﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اٰجْهَرُوا بِهِ﴾
القلم		
32	17	﴿اِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا اٰصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾
32	26	﴿فَلَمَّا رَاَوْهَا قَالُوا اِنَّا لَضَالُّونَ﴾
32	27	﴿بَلْ نَحْنُ مُعْرَمُونَ﴾
32	28	﴿قَالَ اَوْسَطُهُمْ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُو﴾
32	29	﴿قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ﴾

الفهارس العامة

32	30	﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُونَ ﴾
32	31	﴿ قَالُوا يَدْرِينَا إِنْ أُنزِلَ عَلَيْنَا مِثْلَ الْطُغْيَانِ ﴾
32	32	﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا ﴾
32	33	﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ ﴾
الحاقة		
69	25	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾
55	27	﴿ يَلْتَمِسُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴾
المطففين		
46	14	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾
النبأ		
54	40	﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾
الفجر		
67	24	﴿ يَقُولُ يَلْتَمِسْنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

2. فهرس الأحاديث

الصفحة	درجة الحديث	الراوي	طرف الحديث
47	صحيح	أبو هريرة	«أذنب عبدٌ ذنبًا»
46	حسن	أبو هريرة	«إنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً»
72	صحيح	أبو موسى	«إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ»
12	صحيح	عائشة	«رجل أسيفٌ إذا قام في مقامك»

3. قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

1. إبراهيم خضير الشمري: الكبيرة والآثار المترتبة عليها عند المتكلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971هـ.
2. ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
3. ابن عثيمين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار الوطن، الرياض، 1426هـ.
4. ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
5. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م).
6. ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط1، (1418هـ-1997م).
7. ابن قيم الجوزية: الفوائد، عالم الفوائد.
8. ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، (1416هـ-1996م).
9. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، (1420هـ-1999م).
10. ابن كثير: مختصر تفسير القرآن العظيم، تح: أحمد محمد شاكر، الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 2010م.
11. ابن ماجه السنن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
12. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

13. أبو الحسن الواحدي: التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.
14. أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العلمي، بيروت.
15. أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط5، (1424هـ-2003م).
16. أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، (1422هـ-2001م).
17. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
18. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
19. أبو زكريا محي الدين النووي: رياض الصالحين، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، (1419هـ-1998م).
20. أبو عبيد القاسم الهروي: غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعرفة العثمانية، الهند، ط1، (1384هـ-1964م).
21. أبو بكر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
22. أبو بكر الفريابي: صفة النفاق وذم المنافقين، تح: عبد الرقيب بن علي، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، ط1، (1410هـ-1990م).
23. أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
24. أحمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
25. أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، (1365هـ-1946م).
26. أسامة نعيم مصطفى: علامات الساعة الكبرى وأهوال يوم القيامة، دار عالم.
27. أسعد حومد: أيسر التفاسير.
28. إسماعيل حقي: روح البيان، دار الفكر، بيروت.

29. البخاري: الجامع الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.
30. البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر_عثمان جمعة ضميرية_ سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4، (1417هـ-1997م).
31. بلال أحمد الرفاعي: فرحة النفوس بشرح تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء السكندري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2015م.
32. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
33. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
34. الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، (1403هـ-1983م).
35. جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ.
36. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، (1407هـ-1987م).
37. الحجازي، محمد محمود : التفسير الواضح، دار الجليل الجديد، بيروت، ط 10، 1413هـ.
38. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
39. دروزة محمد عزت: التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، 1383هـ.
40. الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق.
41. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، تح: علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط3.
42. زين الدين المناوي: شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م.

43. سعود الخلف: المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (1424هـ-2004م).
44. سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف الشحود.
45. شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423هـ-2003م).
46. الشيخ محمد الكسنزان: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار آية، بيروت، ط1، (1426هـ-2005م).
47. صالح السدلان: التوبة إلى الله معناها، حقيقتها، فضلها، شروطها، دار بلنسية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط4، 1416هـ.
48. صديق حسن خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، (1412هـ-1992م).
49. صفى الدين التلمساني: طراز الكم المذهب في الأذكار الواردة من الكتاب والسنة، تح: أبي عمر الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
50. صلاح الخالدي: مع قصص السابقين، دار القلم، دمشق، ط5، (1428هـ-2007م).
51. عامر عبد الحميد قرمش: لا تظلم، دار المعتز.
52. عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، (1420هـ-2000م).
53. عبد القادر الحمداني: البلاغة القرآنية في نكت الرماني، ط1، (1435هـ-2014م).
54. عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
55. عبد الكريم القشيري: لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.
56. عبد الكريم عليوات: سراج الغيوب في أعمال القلوب، تح: عبد الله شريف الوزاني، دار كتاب-ناشرون، لبنان.
57. عبد الله أحمد قادري: الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط2، (1405هـ-1985م).

58. العز ابن عبد السلام: تفسير القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، (1416هـ-1996م).
59. علاء الدين الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
60. علي سعيد حجازي: تهذيب النفوس للقرب من الملك الفردوس، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان.
61. عمر سليمان الأشقر: اليوم الآخر الجنة والنار، دار النفائس، الأردن، ط7، (1418هـ-1998م).
62. مجموعة من العلماء: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، (1393هـ-1973م)، (1414هـ-1993م).
63. مجموعة من العلماء: تفسير المنتخب.
64. محمد الأمين بن عبد الله الشافعي: تفسير حدائق الروح والريحان في روي علوم القرآن، تح: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، طوق النجاة، بيروت، ط1، (1421هـ-2001م).
65. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984هـ.
66. محمد بن الخطيب: أوضح التفاسير، الطبعة المصرية، ط6، (1383هـ-1964م).
67. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، (1426هـ-2005م).
68. محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
69. محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990هـ.
70. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط1، 1998م.
71. محمد صالح المنجد: النفاق، مجموعة زاد، المملكة العربية السعودية، ط1، (1430هـ-2009م).
72. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط1، (1417هـ-

- 1997م).
73. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط 1، (1424هـ-2003م).
74. محمد عويضة: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب.
75. محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم.
76. محمد مصطفى الزحيلي: الاعتدال في الدين فكرا وسلوكا ومنهجاً، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط3، 1428م.
77. محيي الدين درويش: إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، بيروت، ط4، 1415هـ.
78. مسلم: الجامع الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
79. نخبة من أساتذة التفسير: التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، السعودية، ط 2، (1430هـ-2009م).
80. نعمة الله النخجواني: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي، مصر، (1419هـ-1999م).
81. هالا مقبل، الحوار في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم، دار الجنان، 2015.
82. وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
83. وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ،
ثالثاً: الرسائل و البحوث الجامعية
1. إبراهيم مصطفى: الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، أطروحة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2009م.

4. فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
المبحث التمهيدي: الدراسة المفاهيمية للموضوع	
7	المطلب الأول: تعريف الندم ونظائره
7	الفرع الأول: تعريف الندم لغة واصطلاحاً
9	الفرع الثاني: تعريف نظائر الندم
14	المطلب الثاني: أسباب الندم
17	المطلب الثالث: أهمية الندم وعلاقته بالتوبة
17	الفرع الأول: أهمية الندم
18	الفرع الثاني: علاقة الندم بالتوبة
19	المطلب الرابع: أنواع الندم
المبحث الأول: الندم في الدنيا	
22	المطلب الأول: ندم الأنبياء والمؤمنين
22	الفرع الأول: ندم الأنبياء
28	الفرع الثاني: ندم المؤمنين
34	المطلب الثاني: مظاهر الندم في الدنيا
34	الفرع الأول: العمل الصالح بعد الندم
40	الفرع الثاني: التحسر والحزن
45	المطلب الثالث: آثار الندم في الدنيا
45	الفرع الأول: أثر الندم في الماضي
46	الفرع الثاني: أثر الندم في الحاضر
47	الفرع الثالث: أثر الندم في المستقبل

المبحث الثاني: الندم في الآخرة	
50	المطلب الأول: ندم الكفار والمنافقين
50	الفرع الأول: ندم الكفار
60	الفرع الثاني: ندم المنافقين
62	المطلب الثاني: مظاهر الندم في الآخرة
62	الفرع الأول: الدعاء بالويل والثبور والهلاك
64	الفرع الثاني: التعبيرات الجسدية
65	الفرع الثالث: البراءة من الأصحاب
66	الفرع الرابع: التمني والترجي
72	المطلب الثالث: آثار الندم في الآخرة
75	الخاتمة
78	فهرس الآيات القرآنية
83	فهرس الأحاديث
84	قائمة المصادر والمراجع
90	فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ